



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية و الأدب العربي



صورة الأماكن المقدسة في الأدب الشعبي - مكة أنموذجاً -

مذكرة مكملّة مستلزمات لنيل شهادة الماستر أكاديمي

الميدان : اللغة و الأدب العربي

الشعبة : دراسات أدبية

تخصص : أدب شعبي

إعداد الطالبة :

بلقاسمي حنان

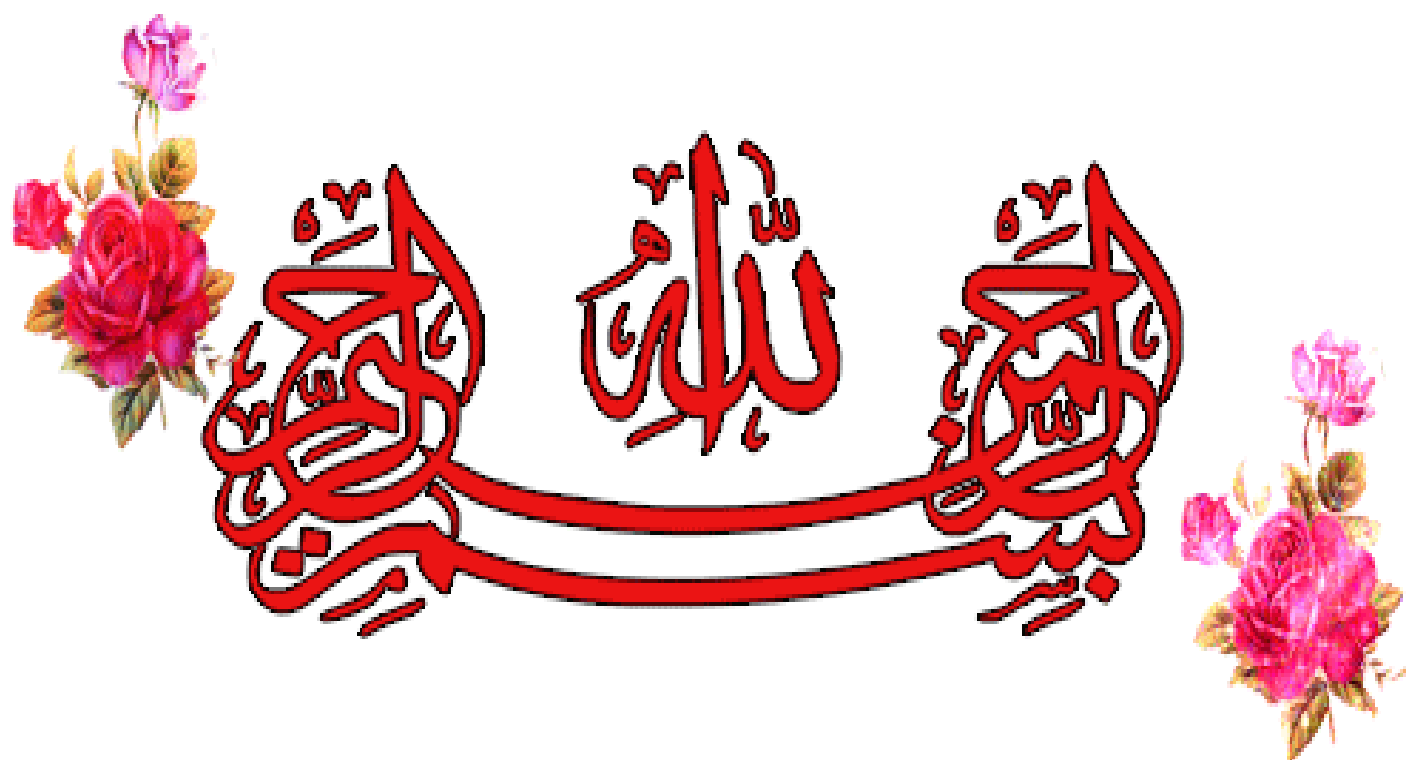
إشراف الأستاذة :

عاتي نوال

أمام لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة الوظيفية	الجامعة الأصلية	الصفة
د. عبد الحميد معيفي	محاضر (أ)	جامعة الطارف	رئيساً
عاتي نوال	محاضر (أ)	جامعة الطارف	مشرفاً و مقررأ
د. حولي مبروكة	محاضر (أ)	جامعة الطارف	عضوا مناقشأ

السنة الجامعية : 2022 م / 2023 م



شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى

﴿ فاذكروني أذكركم و أشكروا لي و لا تكفرون ﴾

{ سورة البقرة ، الآية 152 }

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار مقدر الأقدار

أحمده و أشكره على توفيقه و عونه لي ، و مذكاة الطاقة و التبصرة لإنجاز بحثي ،

أتقدم بجزيل الشكر و الامتنان للأستاذة الفاضلة

((عاتي نوال))

على كرم قبولها الإشراف على مذكرتي ، و على جهدها الدؤوب في مساعدتي على إتمامها و قطف

ثمار البحث

أمي فيها النية الخالصة و التفاني الحر في عملها أدامها الله ذخرا

للعلم و أطال لنا في عمرها

كما أتقدم بعظيم الشكر إلى كل أساتذة قسم الأدب العربي الذين

ساعدونا في حمل راية تخصص الأدب الشعبي في جامعة الشاذلي بن جديد

فلهم لنا حق التقدير و الاحترام

و لا بد من شكر كل من شجعني و ساندني من قريب أو من بعيد

و لو بكلمة طيبة فله الشكر

و أشكر كل من تفضل بتقويم هذه الدراسة و مناقشتها

راجية منه ألا يبخل علي بتقديم

التوجيهات النقدية الصائبة .



الأهداء

الحمد لله الذي أنار لنا هذا العلم و المعرفة و أعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا
في إنجاز هذا العمل
أهدي ثمرة جهدي إلى أول اسم نطقته إلى أعز
ما أملك في هذه الدنيا التي تحت قدميها الجنان إلى التي حملتني وهنا
على وهن ، و إلى روح حياي التي سهرت الليالي على تربيتي و تعليمي
و كانت سندا لي في السراء و الضراء إلى التي لطالما فرحت لفرحي و حزنت لحزني
منيع الحب و العطف و الحنان **أمي ثم أمي ثم أمي** "تفاحة" حفظها الله و أطال الله في
عمرها أهدي إلى رمز العطاء و التضحية و الوفاء في الوجود إلى ذلك العظيم الذي غرس
فينا قيم الخير و الصفاء **"أبي الغالي" كمال** "أطال الله في عمره"
إلى كل من شاركوني بالوالدين و جمعنا رحم واحد و بيت واحد إلى من يسري في عروقهم
دمي إلى أخوتي **"فوزية و عامر" و أشرف**
إلى الذي كان عوناً و سنداً لي في سلك هذا الطريق و إتمام هذا العمل
إلى الأستاذة المشرفة **((عاتي نوال))**
إلى كل من حملتهم ذاكرتي و لم تحملهم مذكرتي ، لكل من قدم لي يد العون ن قريب أو من
بعيد لهم مني جزيل الشكر و فائق التقدير و الاحترام

حنان



مقدمة :

تمثل الكعبة المباركة رمز ديني إسلامي مقدس لأنها تشرفت بأثر خير الأنام محمد صلي الله عليه و سلم الذي منى على ترابها ،لأن الله خصّها بحبه فجعل قلب كل مسلم يهوى إليها ممّا على ترابها ، لأن الله خصها بحبه فجعل قلب كل مسلم يهوى إليها ، مما جعلنا نختار هذا البحث ،و لهذا جاء بحثي تحت عنوان " صورة الأماكن المقدسة في الأدب الشعبي مكة أنموذجا " لمكائته في مقدساتنا الدينية و لقربة من وجداننا و رغبة منا في إعطاء حقه ، نظرا لقلة الدراسات التي عكفت عليه - حسب علمنا لاسيما في علاقتهم بالموروث الشعبي فكان عليه - حسب علمنا لاسيما في علاقتها بالموروث الشعبي فكان اختيار هذا الموضوع المعنون بـ " صورة الأماكن المقدسة في الأدب الشعبي مكة أنموذجا "

تحركنا الدوافع الآتية :

- تسليط الضوء على فكرة التقديس (بيت الله الحرام) و تجليه داخل الموروث الشعبي ،و البحث في كيفية تجلي هذا التقديس في ثقافتنا الشعبية .
- رغبتى الملحة في البحث في هذا الموضوع لأن مكة المكرمة تمثل موضوعا حيويا للدراسات و البحوث باختلاف ميادينها من التاريخ و الأدب و غيرها .
- إدراكي لأهمية هذا الموضوع فمكة بحق مكان استثنائي فجاءت الإشكالية كالآتي :
- كيف ارتسمت صورة مكة المقدسة في الأدب الشعبي ؟ و ما دلالتها ؟

و لفك شفرة هذه الإشكالية رأينا أن نقسم البحث وفق الخطة الآتية : مقدمة وفصلين و خاتمة و قائمة المصادر و المراجع .

➤ الفصل الأول بعنوان: " تحديد المفاهيم و المصطلحات "

- المكان المقدس
- المكان المدينس
- ثقافة الحج و العمرة

➤ الفصل الثاني بعنوان : " تجليات المكان المقدس في الأدب الشعبي "

" صورة مكة في رحلات "ابن بطوطة "

➤ خاتمة و تطرقنا إلى أهم النتائج مستعينين بآليات المنهج الموضوعاتي و باقي المناهج الأخرى كالسيميائي و غيره ، أين وقفنا على الموضوعات المرافقة و المصاحبة لظاهرة الحج صوب بيت الله الحرام .

و قد استعنا ببعض الدراسات السابقة و إن كانت قليلة مقارنة بغيرها مثل :

- " يوسف شلحد ، بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام و بعده "
- " أبي الوليد أحمد بن محمد بن الوليد الغساني " ، زبدة الأعمال و خلاصة الأفعال في تاريخ مكة المدينة الشريفة "
- " محمد بن بطوطة " : رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "
- و كأني بحث واجهتنا جملة من الصعوبات منها :
 - قلة المصادر و المراجع في هذا البحث .
 - ضيق الوقت .
 - صعوبة البحث لأنه يجمع بين الثقافة الدينية و الثقافة الشعبية .



مكة المكرمة ، بلد الله الحرام، و مهبط الوحي و منبع الرسالة، أظهر بقعة على وجه الأرض و أحبها إلى الله و رسوله صلي الله عليه و سلم، أختارها الله تعالى لتكون مقرا لبيته الحرام ،ومسكنا لنبيه إسماعيل عليه السلام، ومولدا لخاتم الأنبياء سيدنا محمد صلي الله عليه و سلم ،فهومي قبلة المسلمين، ومهوى أفئدتهم و مقصد حجّهم خصها الله تعالى في كتابه العزيز بالتكريم ،وجعلها حرما أمنا إلى يوم الدين.

- الموقع :

تقع مكة المكرمة في الجهة الغربية من المملكة العربية السعودية على درجة عرض (19°، 25°، 21° شمالاً) و درجة طول (46°، 49°، 39° شرقاً) و ترتفع عن سطح البحر بمقدار (280 م) و تبعد عن المدينة المنورة (430 كم) جنوبا ، كما تبعد عن مدينة جدة (73 كم) شرقا و تقع على امتداد سفوح جبال السروات ،و تمثل نقطة التقاء سهول لهامة بالجبال التي تحيط بمكة من جميع الجهات.

وتحتضن مكة وادي إبراهيم الخليل الذي ينحصر بين سلسلي جبال متقاربة، من جهات الشرق و الغرب و الجنوب، فالسلسلة الشمالية تتألف من جبل (الفلق) و جبل (قعيقعان) و السلسلة الجنوبية تتألف من جبل (أبي حديدة) غرباً، ثم جبل (كدى) باتجاه الجنوب ثم جبل (أبي قبيس) في الجنوب الشرقي، ثم جبل (خندقة) ⁽¹⁾

لمكة المكرمة منزلة في قلوب المسلمين ،ففيها قبلة المسلمين و إليها يفد مئات الآلاف من الحجاج و المعتمرين للقيام بأحد أركان الإسلام و هو الحج و أحد الواجبات الأساسية في الدين الإسلامي و هو العمرة بصورة مستمرة عبر السنين، كما أنها تعد مهبط الوحي و مولد النبي صلي الله عليه و سلم، و كان ارتباط السكان مرتبط دائما بوجود الحرم

(1) محمود محمد حمو ، مكة المكرمة تاريخ و معالم ،متابعة ، د. أحمد محمد شعبان ،تصميم خالد عبد الفتاح ،نوشاد علي كلتل

ط، 05، 1432 هـ ، ص 12 .

الشريف و لجوء الشريف و لجوء السكان إلى سفوح الجبال السهلية حتى امتلأت مع مرور الزمن.

- المناخ :

مكة المكرمة شديدة الحرارة صيفا دافئة شتاء، تتجاوز درجة حرارتها في الصيف (48 م) ، و تنخفض في الشتاء إلى (15 م) و يتراوح معدلها السنوي بين (29,9 م - 31 م) و يعتبر هذا المعدل من أكبر المعدلات المرتفعة في العالم، حيث لم تتجاوز معدلات المناطق الاستوائية نحو (27 م) و يرجع الارتفاع الحراري إلى بعدها عن المسطحات المائية الكبيرة، و بطء حركة الهواء فيها ، لإحاطة جبال السروات بها ووقوعها في المنطقة الجبلية الإنتقالية الدافعة بين السلسلة الجبلية و السهل الساحلي للبحر الأحمر.

تهب على **مكة** رياح شمالية غربية، و شمالية شرقية و جنوبية غربية ،يبلغ متوسط سرعتها السنوي (7,4 - 8,5) كيلا في الساعة، و أمطار مكة قليلة، تنتج غالبا عن الرياح الشمالية الغربية أو الجنوبية الغربية الموسمية، غير أن هطولها بغزارة أحيانا تتسبب في حدوث سيول جارفة بسبب طبيعة مكة الجبلية ، و يتراوح معدل الأمطار الساقطة على مكة المكرمة ما بين (80 مم : 125 ملم) و أما الرطوبة فهي منخفضة في معظم أوقات السنة، بلغت أعلى نسبة لها (57 %) و أدناها (32 %) ⁽¹⁾

يلعب الموقع الجغرافي لمكة المكرمة و انخفاض ارتفاعها عن مستوى سطح البحر دورا مهما في مناخها الجاف ، و الحار ، حيث تسود الأجواء المعتدلة و الحارة في بعض الأحيان خلال فصل الشتاء ، أما في فصل الصيف فتكون الأجواء حارة إلى حارة جدًا و على الرغم من قلة الهطول المطري في المدينة إلا أنها تتعرض باستمرار لخطر الفيضانات الموسمية .

(1) المرجع السابق

- التأسيس و التطور :

أول من سكن مكة المكرمة و "إسماعيل عليه السلام" و أمه هاجر ، حين تركهما إبراهيم عليه السلام في ذلك الوادي امتثالاً لأمر الله عز وجل داعياً ربه بقوله ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ سورة إبراهيم ، الآية 37 .

وسرعان ما استجاب الله عز وجل دعاءه فبعدما نفذ ما كان لدى هاجر و ابنها إسماعيل عليه السلام من زاد و ماء ، بادرت تطلبه بحرقه بين جبلي الصفا و المروة ، فبعث الله الأمين جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الأرض ، و فجر ماء زمزم تحت أقدام إسماعيل عليه السلام ، و مر ركب من جرهم قافلين من الشام فرأوا الماء ، فاستأذنوا بمجاورتها ، فأذنت لهم ، و احتضنت جرهم إسماعيل ، فنشأ و تعلم العربية بينهم و تزوج منهم ، فأنجبت نسلًا أطلق عليه المؤرخون اسم العرب المستعربة ، و أصبحت مكة مأهولة ، بها بيوت متفرقة على سفوح الجبال ، و أمر الله نبيّه إبراهيم عليه السلام ببناء البيت ، و الأذان في الناس بالحج إليه ، و أقبل من أرادهم الله سبحانه لأداء الحج ، فكانوا أول حجاج يفدون إلى مكة .

تولى إسماعيل عليه السلام أمر البيت زمنا ، ثم أبناؤه من بعده ، و أول الأمر بعد مدة إلى "مضاض بن عمر و الجرهمي" ، و أصبحت ولاية مكة و البيت لجرهم ، فقامت بخدمة الكعبة و رعاية حجاجها زمنا ، و في أواخر القرن الثالث الميلادي تقريبا نشأ جيل أستخف بالبيت و الحرم فسلط الله عليهم قبيلة خزاعة اليمنية بزعامه "ربيعه بن الحارث" فأزاحتهم ، و تولت رعاية الحرم ، و بعد موت ربيعة تولى الزعامه في خزاعة "عمر بن لحي" فسار سيرة سيئة ، نصب الأصنام حول الكعبة و غير دين إبراهيم عليه السلام .

و تذكر بعض الروايات أن الملك "أسعد الحميري" قدم إلى مكة لهدم بيتها و الاستيلاء على خزائنها، إلا أنه رأى من آيات الله ما جعله يقدم مكة معظمًا البيت و مكرّمًا و أقام بها عشرة أيام، يطعم أهلها و حجاجها، مما شجع كثيرا من القبائل القدوم إلى مكة للاستقرار بجوار خزاعة . (1)

قصة بناء مكة و المسجد الحرام و الكعبة المشرفة معروفة و مشهورة و الأحداث التي مرت بها منذ أيام إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام معروفة كذلك، و قد جعل الله تعالى لمكة شرفًا عظيمًا و أصبحت مكان الحضارة و الجمال و الإيمان، و أصبحت مكان البيت العتيق .

- فضائل مكة شرفها الله تعالى و الآيات التي نزلت في فضلها و شرفها :

قال "ابن عباس رضي الله عنها" وضع البيت في الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت و قال ابن عباس أراد به أفد أول بيت بناه آدم عليه السلام في الأرض و قيل هو أول بيت وضع للناس كما قال الله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع يعني المساجد قوله مبارك أي وضع مبارك و هدي للعالمين قبله أهم قيل كان موضع الكعبة قد سماها الله تعالى بيتا قبل أن تكون الكعبة في الأرض و قد بني قبله و لكن الله سماه بيتا وجعله مبارك و هدي للعالمين قبله أهم قال الزجاجي هو منصوب علي الحال المعني الذي أستقر ببركته بمكة في حال بركته و هدي أي ذي هدي فأما بركته ففيه تغفر الذنوب و تضاعف الحسنات و يؤمن من دخله و قبل مبارك أي كثير الخير لمن حج و أعتمره أو عكف عنده و طاف حوله و قوله هدي للعالمين أي متعبدهم و قبلتهم و في معني الهدي هاهنا أربعة أقوال أنه بمعنى القبلة فتقديره و قبله العالمين و الثاني بمعنى الرحمة و الثالث أنه بمعنى الصلاح لأن من قصده صلح حاله عند ربه و الرابع أنه

(1) محمود محمد حمو، مكة المكرمة، تاريخ و معالم، متابعة: د. أحمد محمد شعبان، تصميم خالد عبد الفتاح، نوشاد علي كلفل، ط 05، 1432 هـ، ص 14، 15 .

بمعنى البيان و الدلالة على الله تعالى بما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره حيث يجتمع الكلب و الظبي في الحرم فلا الكلب يهيج الظبي و لا الظبي يستوحش منه قوله فيه آيات بينات أي دلالات ظاهرة أنه من بنا إبراهيم عليه السلام و أن الله تعالى عظمه و شرفه قال المفسرون الآيات فيه كثيرة منها مقام دخله إبراهيم و منها مزامن و منها امتناع الطير من العلو عليه و استشفاء المريض به و تعجيل العقوبة لمن هتك حرمة و أهلا أصحاب الفيل لما قصدوا تخريبه إلى غير ذلك.

قال "أبو يعلى" و المراد بالبيت هاهنا الحرم كله لأن هذه الآيات موجودة فيه و مقام إبراهيم ليس في البيت قوله مقام إبراهيم قيل عطف بيان على آيات و بين الجمع بالواحدة لإشتماله على آيات أثر قدميه الشريفين في الصخرة و بقائه و حفظه مع كثرة محذائه من المشركين دليلا على قدرة الله تعالى و صدق إبراهيم عليه السلام و قيل الآيات تزيد على ذلك لكنه تعالى طوي ذكر غيرها دلالة على تكاثر الآيات .

قال الإمام "فخر الدين الرازي" المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودا أو لم يكن و قد يضرب بشيء موجود معين فهذه القرية التي ضرب بها هذا المثل يحتمل أن يكون شيئا معروفا و يحتمل أن تكون قرية معينة و على التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها و الأكثر من المفسرين هي أنها مكة و الأقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلا بمكة .

قوله تعالى لنبينا محمد صلي الله عليه و سلم " قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام و حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره " و سبب نزول هذه الآية أن النبي صلي الله عليه و سلم و أصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أحب أن يستقبل بيت المقدس ليتألف بذلك اليهود و قيل أن الله تعالى أمره بذلك ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلي إلى قبلتهم مع ما يحدث من نعته و صفته في التوراة و صلي إلى البيت المقدس بعد الهجرة

سنة عشرًا و سبعة عشرًا شهرا و كان يجب أن يتوجه إلى الكعبة لأنها قبله أبيه إبراهيم عليه السلام و قيل كان يجب ذلك من أجل اليهود و قالوا يخالفنا محمد في ديننا و يتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لجبريل عليه السلام وددت لو حولني الله إلى الكعبة فإنها قبله أبي إبراهيم عليه السلام فقال جبريل إنما أنا عبد مثلك و أنت كريم على ربك فسل أنت ربك فإنك عند الله بمكان ثم عرج جبريل و جعل النبي صلى الله عليه و سلم يديم النظر إلى السماء رجا أن ينزل جبريل بما يجب في أمر الكعبة فأنزل الله ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾

بغير تردد وجهك و تصرف نظرك في السماء أي إلى جهة السماء و هذه الآية و إن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لأنها رأس القصة و أمر القبلة و أول ما نسخ من أحكام الشرع أمر القبلة فلنولينك أي فلنحولنك و لنصرفنك أي قبله أي فلنصرفنك عن بيت المقدس إلى قبله ترضاها أي تحبها و قيل إليها فول وجهك شطر المسجد الحرام أي نحوه و تلقاه و أراد به الكعبة اختلف العلماء أي وقت حولت القبلة على ثلاثة أقوال أحدها أنها حولت صلاة الظهر يوم الإثنين المنتصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة قاله البرابن عازب و مغفل ابن يسار و الثاني أنها حولت يوم الثلاثاء للنصف من شعبان من رأس ثمانية عشر شهرا من مقدمة صلى الله عليه و سلم قاله قتادة و الثالث أنها حولت في جمادى الآخرة حكاه ابن سلامة المفسر عن إبراهيم الحزبي و عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال "الْبَيْتُ قِبْلَةٌ لِأَهْلِ الْمَسْجِدِ وَ الْمَسْجِدُ قِبْلَةٌ لِأَهْلِ الْحَرَمِ وَ الْحَرَمُ قِبْلَةٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي مَشَارِقِهَا وَ مَغَارِبِهَا مِنْ أُمَّتِي" و قوله ﴿حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ أمر الله باستقبال الكعبة من جميع جهات الأرض شرقا و غربا و شمالا و جنوبا و لا يستثني من هذه شيء سوى النافلة في حال السفر فإنه يصليها حيث لما توجه إليه قلبه و

قلبه و كذا نحو الكعبة و في حال المسابقة في القتال و قوله تعالى ﴿وَ إِن جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنًا﴾.

و قوله و إن جعلنا البيت هو البيت الحرام و هو الكعبة و يدخل فيه الحرم لأنه تعالى وصفه لكونه آمنا و هذا صفة جميع الحرم و قوله مثابة للناس و أمنا أي مرجعا لهم من تاب يتوب إذا رجع و المعني يتوبون إليه من كل جانب يحجونه قال " الزجاجي " و المثابة و الثابة واحد كالمقام و المقامة ، قوله صلي الله عليه و سلم أن الله تعالى حرّم مكة يوم خلق السموات و الأرض و قول إبراهيم عليه السلام دليل على هذا المعنى بقوله ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾

فهذا يقتضي أن مكة كانت محرمة بدعوة إبراهيم عليه السلام بدليل قوله عليه السلام أن إبراهيم حرّم مكة و أي حرمت المدينة " و هذا يقتضي أن مكة محرمة قبل دعوة إبراهيم عليه السلام حالاً لغيرها من البلاد .

و قوله تعالى ﴿وَ إِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ قالت الرواة أن الله تعالى خلق موضع البيت قبل الأرض بألفي عام و كانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها فلما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض أستوحش فشكا إلى الله تعالى فأنزل الله تعالى البيت المعمور من ياقوته من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي و باب غربي فوضعه على موضع البيت و قال يا آدم أني أهبطت لك بيتا تطوف به كما تطوف حول عرشي و تصلي عنك كما تصلي عند عرشي و أنزل الحجر كان أبيض فأسود من لمس الحيز في الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشيا و قيل الله تعالى له ملكا يدلّه على البيت فحج البيت و أقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا له " بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام " قوله " و إذ يرفع إبراهيم القاعد من البيت " قيل القواعد

أساس البيت واحدها قاعدة فأما قواعد النساء فواحدها قاعدة وهي العجوز قوله " ربنا تقبل منا " و في الآية إضمار تقديره و يقولان ربنا تقبل منا أي ما عملنا لك تقبل طاعتنا إياك و عبادتنا لك أنك أنت السميع لدعائنا العليم بنياتنا و السميع بمعنى السامع لكنه أبلغ لأن بنا الفعل للمبالغة . (1)

– أسامي البلدة الشريفة :

في ذكر أساسي هذه البلدة الشريفة المباركة عظم الله قدرها علم يا أبا الصفا صفي الله باطنك بنور معرفة علم الأسماء أن كثرة الأسماء عند العرب تدل على شرف المسمي فمنها مكة و إنما سميت بذلك لأنها تمك الذنوب أي تذهبها و قيل لأنها يومها الناس من كل مكان فكأنها تجذبهم و هذه الأقوال ترجع إلى قول العرب أمتك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه و جذب بفيه ما فيه و قيل لأنها تمك من ظلم فيها أي تملكه و قيل لأنها تجهد أهلها من قولك تمككت العظم إذا أخرجت مخه و التمكك الاستقصا و منها بكة قيل لازدحام الناس فيها يبك بعضهم بعضا أي يدفع في زحمة الطواف و قيل لأنها تيك أعناق الجابرة أي تقدمها و ما قصدها جبارا لأقصى الله تعالى و قيل لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون قال "قتادة" أن الله به الناس فتصلي النساء أمام الرجال و لا يفعل ببلد غيرها" و عن " ابن عباس رضي الله عنهما " قال " مكة من الفج إلى التنعيم و بكة من البيت إلى البطعا" و قال عكرمة " البيت و ما حوله بكة وما وراء ذلك مكة و قيل بكة موضع البيت و ما سوي ذلك مكة و قال "الضحاك " أن مكة و بكة اسمان مترادفان لهذا البلد و الباء بدل من الميم " و قيل بكة بالباء موضع البيت و مكة القرية و منها أم القرى لقوله تعالى : ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾

1- وجيد و فريد ، زين الأعمال و خلاصة الأفعال في تاريخ مكة و المدينة الشريفة ، عصره الإمام الحافظ أبي الوليد أحمد بن محمد بن الوليد الغساني الأزرق

يعني مكة قيل سميت بذلك لأن الأرض دحيت من تحتها كذا " عن ابن عباس رضي الله عنهما " وقال " ابن قتيبة " لأنها أقدمها و قيل لأنها أعظم القرى شأنا و قيل لأنها بيت الله تعالى واطردت العادة بأن بلد الملك و بيته متقدم على الأماكن و الأم متقدمة أيضا و منها البلد قال الله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ في اللغة صدر القرى و منها القرية قال الله تعالى : ﴿ مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ﴾

يريد مكة و منها البلدة قال الله تعالى : ﴿ أَنَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ﴾ يعني مكة و منها البلد الأمين قال الله تعالى : ﴿ وَ هَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ ﴾ و منها أم رُحِم بضم الراء و إسكان الحاء المهملة لأنها تبس من الحد فيها أي تحطمه و منه قوله تعالى : ﴿ وَ بَسَّتِ الْجِبَالُ بَسَا ﴾

و منها ملاح بفتح الصاء و كسر الحاء كخدام و قطام سميت بذلك لأنها و منها الناجعة قيل لأنها تنس الملحد أي تطرده لقله مائها و النسا اليس بالنون و السين المهملة و منها الحاطمة تحطم من استخف بها و منها مكوثي بضم الكاف و بالشاء المثلثة و هذا اسم بني محله بني عبد الدار و منها الرأس لأنها أشرف الأراضى كالرأس من الناس و منها العرس بضم العين المهملة و إسكان الراء و منها القادس و منها العريش و منها المقدسة و منها القادسية و منها الجرم و منها المسجد الحرام و منها برة و منها الرباح و منها الكعبة إنما سميت الكعبة لأنها مكعبة على خلقه الكعبة و منها البيت العتيق إنما سميت البيت العتيق الكعبة لأنها أعتقها الله تعالى من الجبابة فلا يتخيروا فيها إذا طافوا. (1)

خص الله تعالى مكة المكرمة في كتابه العزيز بالتكريم و ذكرها بأسماء عديدة و من هذه الأسماء :مكة، بكة، و البلد الأمين، و أم القرى، كما أشار إليها في مواقع عديدة بأسماء و أقسم بها و أعطاهما ما لم تحظ به أية مدينة في الدنيا و يرجع بناءها إلى سيدنا إبراهيم و ابنه إسماعيل عليها السلام .

- ما كانت الكعبة عليه فوق الماء قبل يخلق الله عز وجل السموات و الأرض:

في ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق قبل أن يخلق الله عز وجل السموات و الأرض و ما جاء في ذلك أخبرنا شيخنا بسنده عن الشيخ "أبو علي الحسن بن أبي القاسم" خلق "ابن هبة الله الشامي العدل" بمكة بالمسجد الحرام في شهر ربيع الأول سنة ثمان و خمسمائة قال أخبرني والدي "أبو القاسم خلف بن هبة الله الشامي رحمه الله" قال حدثنا "أبو محمد الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن فراش" قرأه علينا من لقطة بمكة حرسها الله تعالى سنة عشرين و أربعمائة قال أخبرنا "محمد بن نافع الخزاعي" و "أبو بكر أحمد بن عبد الله المؤمن" قالوا "حدثنا أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عتبة ابن الأزرق بن عمر بن الحارث بن أبي الغساني الأزرق بن محمد بن الوليد بن عتبة ابن الأزرق بن محمد بن الوليد الأزرق" قال حدثنا "سفيان بن عيينة عن بشر بن عاصم عن سعيد بن المسيب" قال "كعب الأخبار كانت الكعبة غشاء على الماء قبل أن يخلق الله عز وجل السموات و الأرضين بأربعين سنة و منها دحيت الأرض و بالإسناد عن حميد قال سمعت مجاهدا يقول خلق الله عز وجل هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرضين عن "ابن عباس" أنه قال الله عز وجل هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرضين عن ابن عباس أنه لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات و الأرض بعث الله ريحا هفافة فصفقت الماء فأبرزت عن حشفة في موضع البيت كأنها قبة قد يحيي الله عز وجل الأرضيين من تحتها فمادت ثم مادته فأوتدها الله عز وجل بالجبال و كان

أول جبل وضع فيها أبو قيس فلذلك سميت أم القرى، و قال "ابن قتيبة" سند له يرفعه إلى وهب عن التوراة أن في أول سفر منها أن أول ما خلق الله تعالى من خليفته القلم فقال له أكتب فكتب ما كان و ما هو كائن إلى أبد الأبدين فسماه أم الكتاب ثم خلق الماء ثم العرش فوضعه على المآثم الريح و كانت ترف على وجد الماء فقال الله تعالى لتكن الظلمة فسمها ليلا ثم قال ليكن النور فسمها نهارا ثم جعل الظلمة على النور ليلا و سماها ما بين ذلك النور إلى الظلمة الأحد فكان أول الأيام فقال الله تعالى ليكن سقف وسط الماء فكان سماه سما فأحاز بحر السماء من بحر الأرض قال "ابن قتيبة" و كذلك ورد عن علي رضي الله عنه أن البحر المسجور هو بحر تحت العرش و هو هذا الماء المذكور في التوراة ثم قال الله تعالى ليجمع الماء الذي تحت السماء إلى مكان واحد و يظهر البيس فكان فسمي البيس أرضا و سمي ما اجتمع من الماء بحرا ثم قال ليكن في السماء نوران أحدهما أكبر سلطانا من الآخر لتقصد الدهور فكان ثم خلق شاتين عظيمتين و خلق آدم من أدمه الأرض فيه سمي آدم ثم ألقى عليه السبات فخلق حواء من ضلع من أضلاعه و سماها امرأة لما اختلقت من مرء فلما انتبه آدم قال عظم من عظامي و لحم من لحمي فلذلك يترك الرجل أبويه و يمضي مع امرأته فلما خلقها كساها لباسا من أظفارها فلذلك يزداد كل يوم جدة و حسنا و خلق جميع الحيوان من جميع أجناسه و قال أنموا و أكثروا و أملوا الأرض فأجتمع الخلق كلهم في اليوم السادس فسماه الجمعة و أختار كوئها سبعة فسمي السابع السبت لأنه .

لم يخلق فيه شيئا فقالت اليهود لعنهم الله أن الله تعالى استراح فقال الله تعالى و ما مسنا من لغوب فأصبر على ما يقولون تسلية لرسول الله صلي الله عليه و سلم و وعيدا لهم لوصفهم إياه بما لا يليق به جل جلاله و تقدست أسماؤه ثم نصب الفردوس في عدن ثم خلق الملائكة و أسكنهم السموات بعد أن فتقها من لوثقها و خلق الجن و أسكنهم الأرض انقضى حديث وهب عن التوراة .

وعن هشام بن مجاهد قال لقد خلق الله عز وجل موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفي سنة و أن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى .⁽¹⁾

- بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة :

قبل خلق آدم و مبتدأ الطواف و كيف كان عن مجاهد عن "محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم" قال كنت مع أبي بمكة فينما هو يطوف بالبيت و أنا ورائه إذ جاءه رجل شرحم من الرجال يقول يعني طويل فوضع يده على ظهر أبي فالتفت أبي إليه فقال الرجل السلام عليكم يا ابن بنت رسول الله صلي الله عليه و سلم فرد عليه السلام فقال الرجل يا ابن بنت الرسول أني أريد أن أسألك فسكت أبي و أنا و الرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه فدخل الحجر فقال تحت المزابي فقممت أنا و الرجل خلفه فصلى ركعتين أسبوعه ثم إستوى قاعدا فالتفت إلي فقممت فجلست إلى جنبه فقال يا محمد فأين فأوميت إليه جاء فجلس بين يدي أبي فقال له أبي عما تسأل قال أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت لم كان و أنى كان وحيث كان و كيف كان قال له أبي نعم من أين أنت قال من أهل الشام قال أين مسكنك قال في بيت المقدس قال فهل قرأت الكتابين يعني التوراة و الإنجيل قال الرجل نعم قال أبي يا أخا أهل الشام أحفظ و لا نزو عني الأحقا أما تبدو هذا الطواف بهذا البيت فإن الله تبارك و تعالى قال للملائكة : "إني جاعل في الأرض خليفة"

فقالن الملائكة أي ربي اخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها و يسفك الدماء و يتحاسدون و يتباغضون أي رب و يتباغون أي رب أجعل ذلك الخليقة منا فنحن لا نفسد فيها و لا نسفك الدماء و لا نتباغض و لا نتجاهد و لا نتباغي و نحن نسبح بحمدك و نقدر لك و نطيعك و لا نعصيك قال الله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون قال فظنت

1-وجيد و فريد ،زين الأعمال و خلاصة الأفعال في تاريخ مكة و المدينة الشريفة،عصره الإمام الحافظ أبي الوليد أحمد بن محمد بن الوليد الغساني الأزرقى

الملائكة إنما قالوا رداً على ربهم عز وجل و أنه قد غضب من قولهم فلاذوا بالعرش و رفعوا رؤوسهم و أشاروا بالأصابع يتضرعون و يكون إشفاقاً من غضب فطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله عز وجل إليهم فنزلت الرحمة عليهم فوضع الله تعالى تحت العرش بيتاً على أربع أساطين من بوجد و غشاهن بياقوتة حمراء و سمي البيت الضراح ثم قال الله عز وجل للملائكة طوفوا بهذا البيت و دعوا العرش قال فطافت الملائكة بالبيت و تركوا العرش و صار أهون عليهم و هو البيت المعمور الذي ذكره الله عز وجل يدخله كل يوم و ليلة سبعون ألف ملك و لا يعودون فيه أبداً ثم أن الله سبحانه و تعالى بعث الملائكة فقال ابنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله و قدره فأمر الله سبحانه و تعالى من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور فقال الرجل صدقت يا ابن بنت رسول الله صلي الله عليه و سلم هكذا كان وجدته في التوراة و الإنجيل . (1)

روى عن "علي بن الحسين" أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتاً، و هو البيت المعمور فأمر الملائكة أن يطوفوا به، ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنوا في الأرض بيتاً على مثاله و قدره، فبنوه و اسمه الضراح و أمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، و روي أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام .



الفصل النظري

تحديد المفاهيم و المصطلحات

- (1) تعريف المكان
- (2) خصائصه
- (3) تقسيم المكان عند النقاد
- (4) أنواعه

-تعريف المكان :

- (أ) لغة :

وردت كلمة "المكان" في معظم معاجم اللغة العربية، كما جاء في معجم العين " للخليل بن أحمد الفراهيدي " المكان في أصل تقدير الفعل مفعل بأنه موضع لكيونته غير أنه لما أجروه في التصريف مجرى الفعال فقالوا له مكنا له وقد تمكن، وليس بأعجب من تمسكن من المسكين و الدليل على أن المكان مفعل أن العرب لا تقول : " هو منى مكان كذا وكذا إلا بالنصب " (1)

أما في معجم "تاج العروس" فقد عرفه الزبيدي بقوله : " و المكان هو الموضع المخاذي للشيء " (2)

كما ورد في معجم "المنجد" : " المكان هو الموضع، و هو مصدر لفعل الكيونة وهو (مفعل من كون) ، فنقول مكان جريمة أو مكان لقاء.... (وهو العلم بمكان) أي له فيه مقدرة و منزلة ... (وهذا مكان هذا) أي بدله..." (3)

و نجد لفظة " المكان" في القرآن الكريم في عدة مواضع منها : قوله تعالى :

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ (4)

-
- 1- الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط 1، 2003، ج 04، ص 161
 - 2- الزبيدي ، محمد مرتضى بن محمد الحسيني : تاج العروس من جواهر القاموس ، تح ، عبد المنعم خليل إبراهيم و الأستاذ سيد محمد محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1، 2007، ج 20، ص 94 .
 - 3- أنطوان نعمة و آخرون ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة (مادة، مكن)، دار المشرق ، بيروت، لبنان ، ط 01، 2000 ، ص 1351 .
 - 4- سورة مريم، الآية 22 .

من خلال هذه المفاهيم نجد أن مصطلح المكان ذو دلالات متشابهة ترمي إلى معنى واحد و هو "الموضع المشغول"، فهو مصدر لكيثونة الشيء، وأنه ليس من السهل ضبط مصطلح المكان، لأنه يحمل أكثر من مفهوم يوضح معناه الدلالي.

- (ب) اصطلاحاً :

أما في الاصطلاح فالمكان يتخذ مفهوماً أوسع يرتبط بالكائنات الحية سواء الإنسان أو الحيوان و في هذا يقول "فاروق أحمد سليم" : " نحصل على لفظ يدل دلالة عميقة على صيرورة الحياة الإنسانية، فالمكان هو الموضع الذي يولد فيه الإنسان، وهو الموضع الذي يستقر فيه و هو الموضع الذي يعيش فيه و يتطور فيه إذ ينتقل من حال إلى آخر و ما ينطبق على تطور حياة الإنسان الفرد، ينطبق على تطور حياة الجماعات الأمم" (1)

فالمكان ذو أهمية بارزة في تشكل الحياة، فهو الموضع الذي ينشأ فيه الكائن الحي ويتطور و يستقر فيه، و ما يحصل من تطور في حياة الإنسان الفرد كان لابد أن ينطبق على حياة الجماعات، و من ثم " فإن المكان لا يكون ذا جدوى، ما لم ترتبط به الحياة سواء كانت هذه الحياة حياة البشر أم حياة الحيوان، فأى كوكب من الكواكب ، و أي مكان لم يكتشف بعد، و م تخترقه الحياة ليس بمكان، فالمكان هو الموضع الذي تزخر فيه الحياة ، لتوفره على العناصر الأساسية للحياة من ماء و هواء و تراب" (2)

من خلال هذا نجد أن إطلاق مصطلح المكان على موضع معين مرتبط بشرط أساسي و هو الحياة سواء حياة البشر أو الإنسان التي تمتاز بدورها بثلاث خاصيات أساسية

- 1- فاروق أحمد سليم ،الانتماء في الشعر الجاهلي ،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا، 1998، ص 197 .
- 2- باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ،إربد عالم الكتب الحديث،عمان،الأردن، ط 01، 2008، ص 170

- خصائصه :

يتميز المكان بخصائص مجازية لها دلالات جمالية إبداعية تضيف على النص بعدا فنيا و تحدث في المتلقي أثرا نفسيا، يتضح هذا الأثر في مشاركة المتلقي للمبدع ومشاركته للأمكنة ما يستدعي حضور ذكريات هذا المكان، الذي يترك في مخيلته أحداث و مواقف شتى لا يمكن أن يتناساها لأن وجود الإنسان لا يتحقق إلا بوجود المكان الذي هو عالم بلا حدود و بحر دون ساحل، و ليل دون صباح، و نهار دون مساء، إنه امتداد مستمر مفتوح على جميع الاتجاهات و في كل الآفاق " (1)

إذن فالمكان هنا يتكيف مع احتياجات السارد النفسية و الاجتماعية فهو فضاء اللامتناهي وحر الذي لا سلطة فيه، يلجأ إليه الإنسان إذا أحس بالضيق كالبحر أو الصحراء .

"و إن معاشة الإنسان للمكان و تألفه معه، أو معاداته له و يشكل خلفية ارتكازية لكل تصور أو توجه أو تشكيل في " (2)

من خلال هذا نجد أن المكان هو المنطلق لكل تصرف و سلوك الإنسان يفسر من خلال الفضاء الذي يكون كائنا فيه .

إن المكان عنصر ضروري " و أننا نستطيع أن نميز بين الأشياء من خلال وضعها في المكان كما نستطيع أن نحدد في الأحداث من خلال وقوعها في الزمان " (3)

1- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، ص 57 .

2- قادة عقاق، جماليات المكان في الشعر العربي المعاصر + جدل المكان و الزمان، دار الغرب و النشر و التوزيع، وهران، ط 2002، ص 17 .

1- سيزا قاسم، المكان و دلالاته، جماليات المكان، ص 59 .

و هذا يدل على أن الزمن لا يقل أهمية عن المكان، فمعرفة السمات الزمنية تستدعي بالضرورة معرفة السمات المكانية و بالتالي فالمكان عنصر ضروري يمكننا من التمييز بين الأشياء من خلال موضعها المكاني.

- تقسيم المكان عند النقاد :

لقد حظي المكان باهتمام من طرف النقاد الغرب والعرب إذ يتجلى ذلك فيما يلي :

- أ) عند النقاد الغرب :

صادف النقاد الغربيين مجموعة من المصطلحات و التي يمكن اعتبارها أنها تصب جميعا في معنى المكان مثل: " الفضاء ،المجال ،الحيز ،وكذا الموقع " (1)
ف نجد الناقد " يوري لوتمان " "youri lotman" يعرفه بأنه " مجموعة الأشياء المتجانسة، من الظواهر و الحالات، و الوظائف و الأشكال و الصور و الدلالات المتغيرة التي تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الإمتداد و المسافة " (2)

فالعلاقة التي يعيها "لوتمان" في تعريفه للمكان هي التطابقات المكانية، و الثنائيات الضدية مثل (فوق- تحت) ، (يمين - يسار) ، فهو عبارة عن مجموعة من الظواهر و الحالات و الوظائف و الأشكال و الصور المتشابهة التي تقوم بينهما علاقات متشابهة بالعلاقات المكانية .

أما النقاد الفرنسيون " فقد عمدوا كلمة الفضاء Espace و قاموا بإلغاء مصطلح الموقع Lien حيث اعتبروا أن الفضاء محتوى تتجمع فيه الأشياء المتفرقة نظام هندسي

²-غالب هالسا، المكان في الرواية العربية، دراسات هاني، دمشق، ط 01، 1989، ص 09 .

³-ينظر ،باديس فوغالي ،الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ، ص 173 .

يساهم في تصوير التحولات و العلاقات المدركة بين الذوات الفاعلة داخل الخطاب السردى " (1)

أما النقاد الإنجليز فلم يكتفوا باستخدام مصطلح الفضاء "Espace" و المكان "Place" بل أضافوا مصطلحا آخر هو مصطلح البقعة "Location" للتعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث " (2)

نلاحظ من خلال هذا أن النقاد الفرنسيون اعتمدوا على مصطلح الفضاء و ألغوا مصطلح الموقع باعتبار الفضاء محتوى يساهم في جمع الأشياء المتفرقة داخل الخطاب السردى بينما النقاد الإنجليز كانوا أكثر دقة في التعامل مع الأماكن من خلال إظهار أصغر جزئية يحتوي عليها المكان و هي البقعة فلم يكتفوا بمصطلح الفضاء و المكان فقط بل أضافوا مصطلح البقعة .

- (ب) عند النقاد العرب :

لم يعبر النقد العربى عنصرا " المكان " عنصرا أساسيا في البناء الفنى لكنه حضى ببعض الاهتمام مؤخرا سواء في الأعمال السردية أو المشهدية .

لعل أول بوادر الاهتمام بالمكان فقد بدأت مع ترجمة الناقد الروائى العراقى " غالب هالسا " في كتابه " شعرية الفضاء " "Poétique De L'espace" لغاستون باشلار " Gaston bachelard " إذ نقله إلى اللغة العربية تحت عنوان " جماليات المكان " (3)

كما أن هناك إسهامات عربية الأصل، قامت بتلك الدراسات في ضوء تحليل الخطاب، فنجد على سبيل المثال، و على وجه الخصوص الناقد المغربى " حميد حميداني

1- المرجع السابق ، ص 176 .

2- باديس فوغالى، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، ص 175 .

3- ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1984، ص 76 .

" في كتابه " بنية النص السردي " و الذي يعتبر بمثابة العمود الفقري لأي نص ، فبدونه تسقط تلقائيا العناصر المشكلة له " (1)

كذلك " ابن سينا " فقد كان رأيه قائما على التفريق بين مفهومين للمكان في قوله " إن المفهوم الأول هو المكان الحقيقي، فهو السطح المساوي لسطح المتمكن، أما المفهوم الثاني هو المكان الغير حقيقي و أعني به الجسم المحيط " (2)

أما " حسن مجيد الربيعي " : " فقد أعتبر مفهوم المكان محلا أو حاويا أم ممتدا هو اصطلاح أنشأه الإنسان لكي يحدد موضعه في المكان، و لكي يفهما فهما عقليا " (3)

يمكن القول هنا أن المكان ليس مجرد شكل خارجي أو شكل ثانوي و إنما هو أداة تزداد قيمتها كل ما كان أكثر نفعا داخل العمل الأدبي ، فالمكان الحقيقي هو الذي يستطيع فيه الإنسان أن يبني ذاته من خلال اكتشافه للمكان المناسب و الحقيقي لأن علاقة المكان بالذات علاقة تلازمية .

- أنواعه :

نجد تقسيم "مول " Moles " و "رومير " Rhomer " اللذان قسما المكان إلى :

- عندي : و هو مكان الألفة و المكان الحميم الذي يملك المرء فيه كل سلطته .
- عند الآخرين: يكسب فيه الإنسان ألفته، إلا أن السلطة هنا خاضعة للغير كمكان البيت .

1- حميد حميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 03، 2000، ص 04

2-عبد الحميد خطاب، إشكالية المكان و الزمان في الفكر الإسلامي، مجلة المبرز، المدرسة العليا للأساتذة ، قسنطينة، ع 1، ص 72، نقلا عن باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، ص 173 .

3-المرجع السابق، ص 174 .

● **الأماكن العمومية:** و هذه الأماكن خاضعة لسلطة الغير العامة ويشعر الإنسان فيها بالحرية و يمكنه أن يخرج فيه من السلطة التي تحكمه، و لكن الشعور بالحرية محدود كالمقهى أو المنتزهات العامة .

● **المكان اللامتناهي :** و هو المكان الواسع ذو الرحابة ،عادة ما يلجأ إليه الإنسان إذا أحس بالضيق ، حيث لا يكون هذا المكان ملكا لأحد كالبحر و الصحراء كما أن سلطة الدولة بعيدة عنه .⁽¹⁾

بينما نجد تقسيمات أخرى للمكان عند " غالب هالسا " يمكن حصرها فيما يلي :

● **المكان المجازي :** و هذا النوع من الأمكنة نجده في رواية الأحداث المتتالية يكون فيها المكان مسرحا و ساحة للحدث و مكملها .

● **المكان الهندسي:** و هنا يكون عرض الأمكنة الخارجية التي تعني الرواية بوصفها بكل دقة و حياد.

● **المكان كتجربة معاشة:** و هو ما له علاقة بإحياء ذكرى من ذكريات المتلقي أو تجربو عاشها و هو المكان الذي يترك أثرا في نفس المتلقي

● **المكان المعادي :** و هو عكس المكان الأليف، فهو مكان معادي مثل الغربة و السجن .⁽²⁾

أما "عبد الحميد بورايو " فيرى أن الأمكنة يمكن تقسيمها بحسب وظيفتها داخل النص الروائي إلى قسمين هما: الأمكنة المفتحة و الأمكنة المغلقة .⁽³⁾

1- ينظر ،فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، الإنتشار العربي، بيروت ، ط 01، 2008، ص 19 .

2- محمد عراب، شعرية الخطاب السردى، ص 67، 68 .

1-عبد الحميد بورايو: منطلق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 146

و يقصد هنا بانفتاح الحيز المكاني احتضانه لنوعيان مختلفان من البشر و أشكال متنوعة من الأحداث الروائية، أما الانغلاق فنعني به خصوصية المكان و احتضانه لنوع معين من العلاقات البشرية . (1)

أخيرا ندرج رأي حميد الحمداي الذي يرى أن الأمكنة بالإضافة إلى إختلافها من حيث طابعها و نوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع و الضيق و الانغلاق و الانفتاح . (2)

2- ينظر نفسه ، ص 146 .

1- حميد الحمداي، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص 72 .



صورة الحاج (قبيل دخول بيت الله الحرام) :

الصورة الخارجية:

1- عالم اللباس :

يعد الإحرام هو أول مناسك فريضة الحج و أول عمل يؤديه ضيوف الرحمن بمجرد الدخول في النسك، و يتميز بملابس محددة تختلف للرجال و النساء، إذ يتجرد المحرم من ثيابه و يرتدي الإزار و الرداء، لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم : « ليحرم أحدكم في إزار و رداء و نعلين » و يندب للمحرم ليس ذلك ، و لا بأس بلبس غيرها بشرط أن لا يكون مخيطا، والمخيط هو : ما يخاط و يبين شكل الجسم، بينما يعني الإزار: ما تستر به العورة من السرة إلى الركبة، أما الرداء فهو ما يلقي على الظهر و الصدر و الكتفين و يسن إدخال الرداء تحت يمينه ملقيا به على كتفه الأيسر و من المستحب أن يكون كل من الإزار و الرداء أبيض اللون و طاهرا و جديدا أو مغسولا و يكره ليس المصبوغ منهما و يجوز للمحرم أن يشبك رداءه بمشبك و هو أداة من خشب أو معدن يثبت و يمسك بها الشيء كالورق أو الشعر و يجوز للمحرم أن يلبس القباء و هو اسم ثوب يلبس فوق الثياب بحيث يدخل المحرم كتفيه فيه دون يديه و لا يلصقه بجسده و الحكمة من لباس الإحرام و لونه الأبيض هي التذكرة بنهاية الإنسان عندما يلف بكفن أبيض غير مخيط عند الموت كما انه إشارة للمساواة بين البشر، أما المرأة فليس لها لباس خاص في الإحرام ، والمستحب أن تكون الثياب التي تحرم بها المرأة خالية من الزينة، ليست في الشهرة، وأن تكون باللون الأسود أو أحد الألوان التي لا تلفت النظر، مع الحرص على ستر كل ما يمكن أن يفتن به الرجل من حلي وغيرها و يحظر عليها في لباس الإحرام أمران، أولهما أن تحرم بثوب مسه الطيب، وثانيهما أن تلبس النقاب و القفازين لما أورده ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : «ولا تنتقب المرأة المحرمة ، ولا تلبس القفازين»

2- استعدادات الحج :

الحج رحلة إيمانية عظيمة و فرصة قد لا تتكرر في الحياة كثيرا، فعلى الحاج الاستعداد و اغتنام تلك الفرصة ليكون حجه مبرورا و ذنبه مغفورا و الحج رحلة تعبديّة تحتاج إلى جهد بدني خلاف الطواف و السعي والتنقل بين المشاعر المقدسة و يجب الاستعداد له وتهيئة الجسد لذلك و الاستعداد له يكون على أكثر من صعيد روحيا ونفسيا وعقليا و بدنيا و صحيا و ماديا.

أ- الاستعداد الروحي و النفسي:

-إخلاص العمل لله تعالى :

إنها الأعمال بالنيات فيجب على المسلم أن يعلم أن إخلاص العمل لله، و متابعة النبي صلى الله عليه وسلم هما أساس قبول أي عمل، و لذا يجب عليه أن يجعل رحلة الحج أو العمرة خالصة لوجه الله سبحانه، لا يريد بذلك رياء لأن ذلك محبط للأعمال الصالحة ، يقول الله سبحانه و تعالى : ﴿و ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك من دين القيمة﴾ {البينة5} ، و يقول سبحانه : ﴿و لقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك و لتكونن من الخاسرين﴾ {الزمر65}

-المبادرة إلى التوبة النصوح :

يجب على المسلم أن يبادر بالتوبة النصوح في كل وقت ن خاصة عند أداء الحج أو العمرة ، لأنه لا يدري هل يمد الله تعالى له في عمره بعد هذه الرحلة الربانية أو ينتهي أجله و هو يؤدي المناسك، و هذه التوبة تكون من جميع الذنوب صغيرها و كبيرها ن لقوله تعالى : ﴿و توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ {النور31} و حقيقة التوبة تكون بالإقلاع عن المعصية ن و الندم على فعلها، و العزم على عدم العودة لها.

-الوصية بتقوى الله في السر و العلن :

يجب على المسلم أن يوصي نفسه و أهله دائما بتقوى الله تعالى، و اجتناب معاصيه، و تقوى الله تعالى هي وصيته سبحانه للأولين و الآخرين من بني آدم لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾

{النساء131}

ب-الاستعداد العقلي :

على كل حاج تثقيف نفسه دينيا قبل تلك الرحلة الإيمانية بجمع معلومات كافية عن أداء طقوس الحج من خلال مصادر موثوقة و الاستفسار من أهل العلم فيما يجهل من أمور الحج حتى لا يقع فيما يطل حجه أو عمرته.

ج-الاستعداد بدنيا و صحيا :

الحج يحتاج إلى جهد بدني خلال الطواف و السعي و التنقل بين المشاعر المقدسة و ينصح الخبراء بممارسة التمارين الرياضية لاسيما المشي يوميا لمدة نصف ساعة على الأقل الحصول على جميع التطعيمات اللازمة لأداء مناسك الحج و عمل كل الفحوصات الطبية.

د-الاستعداد المادي و المالي :

-اختيار المال الحلال: إن أفضل ما ينفق فيه المسلم الأموال هو إنفاقها فيما يرضي الله تعالى ، الذي وعد بإخلاف النفقة و البركة في الرزق ، يقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ {سبا39} و لذا يجب على المسلم أن يختار لحجه و عمرته المال الحلال و الله تعالى لا يقبل من الصدقات إلا ما كان من مال طيب حلال لقوله تعالى : ﴿يَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ

تعبدون﴾ {البقرة172}

- يجب على الحاج معرفة تكاليف رحلة الحج و توفيرها و شراء كل العناصر اللازمة لأداء الفريضة.

-تحضيرات الطعام (الولائم) :

جرت العادة عندنا أن الحاج إذا أراد الذهاب إلى الحج صنع طعاما ودعا الأقارب و الأحاب إلى به بغية تطهير النفس و يفعل الشيء نفسه عند عودته و تسمى هذه الدعوة عندنا بقولهم (عشاء الحاج) فالطعام المعد عند قدوم المسافر يقال له (النقيعة) و هو مشتق من كلمة النقع: و هو الغبار لأن المسافر يأتي و عليه غبار السفر و قد صح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه «لما قدم المدينة نحر جذورا أو بقرة»⁽¹⁾ فعمل الحاج وليمة لعائلته و أحبابه قبل ذهابه للحج و بعد رجوعه منه شيء حسن و عبادة طيبة لأن في ذلك إطعام الطعام و هو مرغّب فيه و فيه دعوة للألفة و المحبة، قال الإمام النووي رحمه الله في المجموع : « يستحب النقيعة و هي طعام يعمل لقدوم المسافر و يطلق على ما يعمله المسافر القادم و على ما يعمله غيره له»⁽²⁾ بشرط أن لا يكون في ذلك مشقة و حرج على الحاج لقوله تعالى : ﴿و لا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ {الاعراف29} و قال تعالى :

﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين و كان الشيطان لربه كفورا﴾ {الاسراء27}

3-وسائل السفر لبيت الله الحرام :

من السير على الأقدام و الركوب على ظهر الجمال إلى عصر المواصلات السريعة و الطائرات فتطورت سبل الوصول إلى الحج و لكن بتكاليف باهظة.

1-أخرجه البخاري في (الجهاد و السير) ، المجموع (4/400) ، باب الطعام عند القدوم (3089) من حديث جابر رضي الله عنه.

2-الامام أبي زكرياء محيي الدين بن شرف النووي ، المجموع ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ج1، ط1.

كان أداء الركن الخامس من أركان الإسلام في الماضي بالغ الصعوبة و المشقة و كانت الرحلة تستغرق أسابيع و شهورا و ربما سنوات ، فقد كانت مغامرة محققة بالمخاطر تتطلب جهدا يبلغ أضعاف ما يبذله الحجاج في زمننا الحاضر بسبب المواصلات و سبل الراحة التي باتت متوفرة.

تضمنت كتب التاريخ صورا من رحلة الحج على مدى عقود مضت ، و رصدت تفاصيل الرحلة و ما يتخللها من استعدادات قوافل الحجيج ، ولعل أبرز ما يخطر في البال وسائل النقل المستخدمة في الزمن الماضي والتي كانت عبارة عن جمال و خيول و بغال ، تقطع مسافات طويلة في ظل بيئة جغرافية وعرة و مناخ قاس و لم تكن هناك بيوت و خيام بعض الأحيان و لا وسائل راحة كما هي اليوم ، فكان الحجيج يقصدون مكة المكرمة بالاستعانة بالدواب و كانوا يخترقون الجبال و السهول و الصحاري مشيا على الأقدام فكانوا في سفرهم يكابدون معاناة كبيرة تتمثل في المدة التي يقضونها و التي قد تصل على ثلاثة أشهر ذهابا و إيابا و انقطاع أخبارهم و ما يتعرض له البعض من أمراض ، و ربما قضى بعضهم في الطريق ول يعلم أهله بوفاته إلا بعد عودة الحجاج إلى ديارهم لهذا كانت لحظات الفراق و الوداع صعبة و مبكية و مع بداية التطور في العصر الحديث بدأ الحجاج يستخدمون إلى جانب الإبل باصات النقل الكبيرة و السفن و البواخر والقطارات (السكك الحديدية) والطائرات فبات الحجاج يسافرون بسهولة و في بضعة أيام فقط.

أصبحت وسائل السفر أكثر سهولة و أمانا مع توفير مختلف الخدمات التي يحتاجها الحاج في رحلته سواء كانت بالطائرة أو بالسيارة فصار الحجاج فريضة سهلة و ممتعة و لكن مكلفة في الوقت ذاته ، و لم يقتصر التطور على الطرقات ووسائل النقل فقط ، بل تطورت أيضا الأماكن التي ينام فيها الحجاج طيلة فترة وجودهم في الأراضي المقدسة إذ ظهرت الفنادق و بل الراحة ذات التكاليف العالية.

-الحاج و عشق الكعبة :

-تصوير حب الحاج و شوقه و حنينه إلى البيت الحرام ما له من حالة قدسية :

الشوق لبيت الله الحرام لا يعاد له شوق ولا توازيه محبة ن فمن استنشق هواءها يظل ريحها معلق به و لا يمكن نسيان جمالها فمكة خير بقاع الأرض ، و ملتقى العباد و النساك و رمز الإيمان و بيت الرحمان، وحب في القلب يسكن الوجدان فمن سكن مكة لا يخاف ومن هواها لا يقنع فهي رمز الروح الوجداني.

فهذا مضاض بن عمرو ممن ذاق حلاوة العيش في مكة ، و قصيدته من أقدم تراث الشعر العربي الذي يزخر بالشوق إلى مكة : (1)

وقائلة والدمع سكب مبادر

وقد شرقت بالدمع منها المحاجر

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

أنسب و لم يسمر بمكة سامر

و لم يترع واسطا فجنونه

إلى المنحنى من ذا الأراكة حاضر

فقلت لها و القلب مني كأنما

يلجلجه بين الجناحين طائر

بلى نحن كنا أهلها فأزالنا

صروف الليالي والجدود العواثر

1-عثمان أبو زيد عثمان ، رحلة الروح : قصائد في الحنين إلى البلد الحرام ، دار البشير للثقافة و العلوم ، ص8,9.

حزن الشاعر حزنا شديدا على فارق من أمر مكة و ملكها حزنا شديدا و ملاً الشوق و الحنين جوانحه إلى مكة المكرمة بعد أن ذاق فيها حلاوة العيش و مثل ذلك بيتان ينسبان إلى الصحابي الجليل بلال بن رباح كان يتغنى بهما عند هجرته إلى المدينة المنورة حينما إلى وطنه ، فبكي معه الوحش و الطير : ⁽¹⁾

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة

بمكة عندي إذخر و جليل

وهل ارذن يوما مياه مجنة

وهل يبدون لي شامة و طفيل

فقد أحب الصحابي الجليل بن رباح مكة المكرمة وتمنى أن يبيت ليلة واحدة في ضواحيها ويطفئ أشواقه الحارة من مياه مجنة وأن يتمتع ناظره بمشاهدة اذخر و جليل وغيرهما من النباتات الخلوية التي حولها، و أن يشاهد شامة و طفيلاً وغيرهما من جبال مكة الشامخة. هناك ذكر في القرآن و دة مواضع ، للمكان و الزمان القدسيين ن الحرام فالله نفسه أعلن مكة مقدسة ن بيتا حراما حرمها مقدس بامتياز آمن ، محرم ينبغي أن يعبد ربه :

﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ {قريش 03}

إنّ المكان المقدس و و موضع تجلى قوة خفيفة ، يستلزم تعريفا من حيث حدوده و سماته ن فهو يتألف عموما من ثلاث دوائر مركزية ذات أبعاد و قداسة غير متكافئة فالمركز موضع تجلي الخارق بالذات ، يعد بمنزلة مقام الألوهة ، قدس الأقداس حيث لا يستطيع أحد الدخول سوى جهاز الطقس، وتاليا يبنى فيه حرم ، كعبة أو بيت، أي منزل

1-الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، 2001، ص354.

يكون في آن مقاما للآلهة وحجازا يحمي المؤمن من غواية الاقتراب مما يتعدى المسموح و الممكن.⁽¹⁾

فالله تبارك و تعالى بعد أن خلق السماوات و الأرض في ستة أيام اختار أشرف بقعة في الأرض لتكون مكان بيته المبارك و قد أمر بتقديس بيته المحرم وعلى زائره أن يتمثل قدسية المكان و قدسية صاحب المكان و قد علمنا الله كيف نتأدب في حضرة الرسول صلى الله عليه و سلم فلا نلغوا ولا نرفع أصواتنا، بل نلتزم الوقار والأدب والسكينة لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ {الحجرات 2} وقوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك إني بالوادي المقدس طوى﴾ {طه 11}

الآية الكريمة توضح بداية الوحي لسيدنا موسى عليه السلام كليم الله وكيف أمره الله تعالى يخلع نعليه احتراماً و تقديساً للمكان الذي هو فيه و عدم دخوله منتعلاً.

من أجمل ما قيل عن مكة (و نفسي تشتهي مكة ن وتراتيل المعتمرين ن و ماء زمزم ن و دموع التائبين، فاكتبها لي يا رب زيارة قريبة).

تكملة الجزء التطبيقي : بلقاسمي حنان

صورة حب و شوق الحاج أثناء الرحيل إلى الكعبة :

بيت الله الحرام يشواق الجميع له سواء قام الشخص بزيارته في قبل أم لفريقه بتلك الزيارة " أخيراً وصلنا مكة " جملة يرددها عدد كبير من حجاج بيت الله الحرام الذين أتوا إلى مكة

1-يوسف شلحد ، بيت المقدس عند العرب قبل الإسلام و بعده ، تعريب : خليل أحمد خليل ، دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت ن لبنان ط1، حزيران (يونيو)، 1996، ص153، 140.

من مختلف دول العالم بعد شوق عميق للبيت العتيق فهو مهوى أفئدة المؤمنين في كل زمان
و مكان، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ۚ
وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

تشهد مواقف حيث من صراع النفس لمن أراد مفارقة مكة أو من تطلع إليها ووصف
تلك المشاعر بتعبير فني جميل ، فهذا "الزحشري" يردد :

سريت بشخصي لا بقلبي وهمتي
وهيهات ما للأخشين و للمسرى
أكابد ليلا كالليالي و حسرة
و دمعا غزير المنسقى غائر المجرى
و أدعوا إلى السلوان قلبا جوابه
لداعيه مهراق من المقلة العبري

- إلى أن يقول :

هو النفس الصعاد من كبد جرى
إلى أن أرى أم القرى مرة أخرى
و ما عذر مطروح بمكة رحله
يسافر عنها يبتغي بدلا لها
و ربك لا عذرا و ربك لا عذرا⁽¹⁾

¹ - عثمان أبو زيد عثمان، رحلة الروح، قصائد في الحنين إلى البلد الحرام، دار البشير للثقافة و العلوم، ص 15 .

" فإن للحرمين الشريفين في مكة المكرمة و المدينة المنورة مكانة عظيمة في قلوب المسلمين يعرف ذلك من عاش أعواما مديدة جوار الكعبة المشرفة، يشهد أفواج الحجاج و العمار يندفعون إلى البيت الحرام باللهفة و الأشواق أو يودعون باللوعة و الإشفاق "

(1)

ألهبت مكة المكرمة مشاعر الشاعر فعبّر عن شوقه و حبه للمكان و حزنه لمغادرة الديار المقدسة مع تمنياته أن يعود إلى مكة مرة أخرى بعد رحيله منها .

و يظهر الشاعر أنه يعرف أسماؤها ك " أم القرى "، فهو مناجيها بروحه و عقله و قلبه و نفسه، و يؤنسها حيث يعتبر منها فكان يمثل آخر المنتهى و أقصى ما يتمناه المرء .

- صورة الحج إلى مكة في الجزائر قبل الفرنسيين :

- السيرة التاريخية :

كانت فرنسا في الحقبة الاستعمارية ترى الحج وسيلة دعائية لغرض زيادة هيبتها في العالم الإسلامي كقوة امبريالية مهيمنة، و تم التخلي عن فكرة تنظيم قوافل رسمية مشتركة بين كافة الحجاج رغم الطلبات الملحة، لكن في آخر المطاف تفوق العامل الديني على الفكر الفرنسي .

" حددت الفترة العادية للسفر من الجزائر إلى مكة في الأول من رجب (الموافق تقريبا بداية السنة الميلادية).

حتى يتمكن الحجاج من الانضمام إلى القافلة الكبرى المنطلقة من القاهرة في الأول من ذي الحجة، أي قرابة شهر أبريل أو مايو في هذه الفترة، يجتمع زهاء 40 أو 50 ألف حجاج في القاهرة و في اليوم المحدد للسفر تتحرك هذه الجموع الساكنة في الخيام

¹ - نفس المرجع، ص 02 .

خارج باب النصر و تسلك الطريق و على رأسها الجمل الذي يحمل السجاد المهدي سنويا للمدينة النبوية " (1)

حددت فترة السفر من الجزائر إلى مكة المكرمة في الأول من رجب و ذلك حتى يتمكن الحجاج من الانضمام إلى القافلة المنطلقة من القاهرة في الأول من شهر ذي الحجة فيجتمع الحجاج في القاهرة للانطلاق في اليوم المحدد للسفر .

" يصرح الباب لانطلاقة الحج في اجتماع استثنائي للمجلس الذي يدعوه خصيصا لهذا الغرض و يحضر فيه الوكيل لدى مكة و المدينة الذي يسلم للمقني المبالغ المخصصة للفقراء في المدينتين و المحدة كل عام بمبلغ ثابت و هو ألفين مكبوت، أي حوالي 10800 فرانك، تسلم هذه الأموال بخصص متساوية لكل حاج فيصبح أميناً عليها و يردها حل وصوله مكة إلى بيت المال الذي يتولاه رئيس القافلة في الجزائر تتألف القافلة من 300 إلى 400 حاج تقريبا يجتمعون في الجزائر العاصمة من كافة أرجاء الإمارة، و أحيانا ينضم إلى القافلة بعض الأفراد من مناطق القبائل الجزائرية و في الغالب كان العرب الساكنون في الأجزاء القريبة من الصحراء ينضمون إلى القافلة للمغرب التي تعبر جزءا من الصحراء و تمر من تونس و طرابلس و بن دوره (ben-beruah) و غاسين (ghasine) و هناك تتوجه إلى الإسكندرية و تتم هذه الأسفار في العادة على متن سفينة أو عدة سفن نقل يستأجرها وكلاء تجاريون من الجزائر و يدفع كل حاج قيمة تذكرة سفره ،أما القائمون على بيت المال فيسافرون مجانا و لم يكن ثمة امتياز آخر للحج الذي لا يعد فريضة شرعية إلا على الأغنياء فالشرع قد أعفى الفقراء منه (...) و عندما يحين الانطلاق يسلم وكيل مكة و المدينة إلى بيت المال الوقفية أو الكشف بأسماء

¹ - الحج في الحقبة الاستعمارية (1866 - 1940) فرنسا، بريطانيا، إيطاليا

Caom3f/6.gvtdespossessions françaises du nord de l'Afrique registre des délibérations du conseil d'administration du 17 septembre 1835 au 25 décembre 1836.

الأشخاص المستحقين في المدينة المقدسة للمعونات المالية السنوية المرسلة من الجزائر و يصل هذا المبلغ كما قلنا إلى 10800 فرانك تدفعه الجمعية، و قد يزيد أحيانا بفضل الهبات المقدمة من الموظفين الكبار في الإمارة عند وصول القافلة مقصدها، يوزع بيت المال الأموال على الأشخاص الواردة أسمائهم في الكشف الذي سلمه الوكيل، بمعدل الثلث لفقراء مكة و الثلثين لفقراء المدينة المنورة، و إذا توفي أحد هؤلاء المستحقين، تسلم حصتهم إلى ورثتهم و إن مات أحد الحجاج في الطريق يستحوذ بيت المال على ممتلكاته و يبيعها و يستقطع 10 % منها و يبلغ بعد الموسم بالميراث الذي جمعه " (1)

كان الحج في الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية يسير وفق أمور قانونية بتصريح الباي في اجتماع خاص بحضور وكيل كل من مكة و المدينة لانطلاق الحج، و يسلم للمفتي المبالغ المالية المخصصة للفقراء من قبل الجمعية أو من طرف الموظفين الكبار في الإمارة بمعدل الثلث لفقراء مكة و الثلثين لفقراء المدينة .

يعد الحج فريضة شرعية على الأغنياء أما الفقراء فقد تم إعفاؤهم منه، و يتم السفر إلى مكة على متن سفينة أو مجموعة السفن بحيث يدفع كل حاج تذكرة سفره أما المسؤولين على بيت المال فسفرهم إل مكة يكون مجانا و عندما يحين وقت الانطلاق يسلم وكيل مكة و المدينة الكشف الذي يحتوي على أسماء الأشخاص المستحقين للإعانة المالية المرسلة من الجزائر إلى بيت المال و عند وصول بيت المال الأموال على الأشخاص الواردة أسمائهم في الكشف و إذا مات أحد الحجاج في الطريق يتم الاستحواذ على ممتلكاته، إذا مات أحد المستحقين تسلم حصتهم إلى ورثتهم .

¹ - المرجع السابق

- مناسك الحج :

- (أ) الإحرام :

" هو أول خطوة غي مناسك الحج، وهو أن ينوي الحج الإحرام - الدخول في نسك الحج بقلبه مستحضرا النية لذلك و سبب تسميته بالإحرام أن الحاج بمجرد الدخول فيه يحرم عليه أمورا كانت محللة له، و قد تعددت آراء الفقهاء في حكم التلبية عند الإحرام بين الاستحباب و الفرضية و المشهور عند جمهور العلماء القول باستجابتها عليه "

(1)

" و فيما يتعلق بالمليقات الزماني للحج فللحاج أن يحرم في أشهر الحج وهي شوال و ذو القعدة و عشر من ذي الحجة و أعمال الحج تكون في الثامن و التاسع و العاشر و الحادي عشر و الثاني عشر و الثالث عشر من ذي الحجة "

(2)

و فيما يتعلق بالمليقات المكاني للإحرام فهي بحسب البلد كالاتي :

- ميقات أهل المدينة: ذو الخليفة.

- ميقات أهل الشام و المغرب و مصر :الجحفة

- ميقات أهل اليمن :السعدية (3)

- (ب) طواف القدوم :

طواف القدوم سنة من سنن الحج حسب قول الجمهور و يسمى بطواف الورد و طواف التحية لأنه شرع للقادم من غير مكة المكرمة و ذلك لتحية البيت العتيق و آخر وقته الوقوف بعرفة عند جمهور الفقهاء (4)

¹ - الراجحي، شرح عمدة الفقه، ج 21، ص 5-8، بتصرف .

² - نفس المرجع، ج 20، ص 19 .

³ - المرجع السابق، ص 10، 13 .

⁴ - مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية الدرر السنية، ج 2، ص 173. 174، بتصرف

عن عائشة رضي الله عنها قال : " أن أول شيء بدأ بح حيث قدم النبي - صلي الله عليه و سلم أنه توضأ ثم طاف " (1)

- ج (السعي :

السعي ركن من أركان الحج بحسب أقوال كل من المذهب المالكي و الشافعي و الحنبلي و ذهب الحنفية إلى سنية السعي بحيث لا يترتب على الحج بتركه دم - ذبح - هدي و ذهب الجمهور إلى أن الشرط في السعي إتمام سبعة أشواط .

قال الله تعالى : " إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۚ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ " سورة البقرة ، الآية 158 "

و تكون صفة السعي بارتقاء الحاج إلى الصفا لبدأ السعي و يكون مستقبلاً الكعبة و يوحد الله و يكبره ثم يتجه إلى المروة بالمشي المعتاد، فإذا ماحاذى العمودتين الأخضرين أسرع في المشي حتى إذا وصل المروة و حد الله و كبره و هذا شوط واحد، ثم يشرع في الشوط الثاني و يفعل فيه مثلما في الشوط الأول حتى يتم الشوط السابع، و يبدأ وقت السعي يوم النحر بعد طواف الزيارة لا طواف القدوم ذلك لأن السعي واجب و طواف القدوم سنة، فلا يجوز أن يكون الواجب تبعاً للسنة . (2)

- د (يوم التروية :

يصادف يوم التروية اليوم الثامن من ذي الحجة و يستحب للحاج أن يخرج من مكة المكرمة إلى منى في يوم التروية، فيصلي بمنى خمس صلوات هي: الظهر و العصر و المغرب، والعشاء و الفجر، وذلك باتفاق الأئمة الأربعة و يبيت بها ليلة عرفة ثم يسير الحاج من منى إلى عرفة سيرا على الأقدام بعد طلوع شمس عرفة و هو سنة عند الجمهور . (3)

¹ - رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن عائشة رضي الله عنها، ص 14، 16 صحيح

² - عبد الله الطبار، الفقه الميسر، ج 04، ص 55- 60 بتصرف .

³ - نفس المرجع، ص 90، 112 .

- هـ) الوقوف بعرفة :

الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لا يتم الحج إلا به و ذلك بإتفاق الأئمة الأربعة فقد ثبتت ركنيته بالسنة و الإجماع، و قد جاء في فضل هذا اليوم عن عائشة رضي الله عنها : " أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، و إله ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول، ما أراد هؤلاء " (1) و للوقوف بعرفة شرطان متفق عليهما و هما :

- الوقت: و يوافق اليوم التاسع من ذي الحجة و ليلة العاشر من ذي الحجة إلى طلوع الفجر فمن فإنه يوم عرفة أو تأخر عنه فقد فاته الحج، و اتفق العلماء في أن طلوع فجر يوم النحر هو وقت انتهاء الوقوف بعرفة إلا أن الآراء تعددت في أول وقت بعرفة إلى الأقوال الآتية:

● المذهب الحنفي و الشافعي: زوال شمس يوم عرفة.

● المذهب المالكي: ذهبوا إلى الليل هو بداية زمن الوقوف بعرفة.

● المذهب الحنفي: يبدأ من طلوع فجر يوم عرفة .

● المثال: يكون الوقوف في أرض عرفات . (2)

- سنة الوقوف في يوم عرفة :

من السنن المستحبة في يوم عرفة ما يأتي :

- الاغتسال: عن علي رضي الله عنه لما سُئل عن الغسل قال : " يوم الجمعة و يوم عرفة و يوم النحر و يوم الفطر "

- خطبة عرفة : و تكون بعد الزوال، وهي خطبتان يفصل بينهما جلسة خفيفة .

¹ - رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، ص 1348، صحيح .

² - مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية، الكويتية، جزء 45، ص 315، 319، بتصرف .

- الجمع بين الصلاتين : و تكون بين صلاة الظهر و العصر في وقت الظهر .
- **التعجيل في الوقوف** : فإذا ما جمع الحاج صلاتي الظهر و العصر في وقت الظهر يسن له تعجيل المسير إلى الموقف .
- الإفاضة بعد الغروب: فإذا غربت شمس عرفة أفاض الناس و الإمام فمن فرجة فليسرع في المشي .
- **الإكثار من أعمال الخير**: بأن يكثر الحاج من العبادات و الأذكار و قراءة القرآن و الدعاء .⁽¹⁾
- **(و) المبيت بمزدلفة :**

حد مزدلفة ما بين مأزمي عرفة و المأزم هو الطريق بين الجبلين و قرب محسر يمينا و شمالا متوسطة ما بين عرفة و منى، و في هيئة مشية الحاج إلى مزدلفة، فتكون في سكة ووقار، و يسرع إذا ما وجد فرجة و ذهب جمهور إلى جواز تأخير صلاتي المغرب و العشاء لأرائهما في مزدلفة، و في كيفية حصول المبيت قولين و هما كما يأتي :

- إن ترك الحاج المبيت بمزدلفة صح حجه، لكن عليه دم- ذبح الهدي .
- إن حضر مزدلفة في النصف الثاني من الليل و أقام فيها قلَّت المدة أو كثرت حصل المبيت .⁽²⁾

- (ز) رمي جمرة العقبة :

تسقى بالجمرة الكبرى، و تقع في آخر منى تجاه مكة، واتفق الفقهاء على أن رمي الجمرات واجب من واجبات الحج و ترمى في الأماكن الخاصة للرمي و ترمى هذه الجهات من جميع الجهات عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : " أن رسول الله - صلي الله

¹- المرجع السابق ، ص 328، 329 .

²- يحيى بن شرف النووي، عبد الفتاح حسين، رواة المكّي، الإيضاح في مناسك الحج و العمرة ، دار البشائر الإسلامية و المكتبة الإمدادية، بيروت، لبنان ، ط 2 ، 1994 ، ص ص 297، 299، (بتصرف)

عليه و سلم - وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاء رجل فقال لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح ؟ قال أذبح و لا حرج فجاء آخر فقال لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي ؟ فقال أرم و لا حرج " (1)

و عدد الحصى الواجب رميه سبع حصيات و يكبر الحاج مع حصاة منها ، أما كيفية الرمي فتكون بأن يمس بالحصى بطرفي إبهامه و مسبحة يده اليمنى و يرفع يده حتى يرى بياض إبطيه و يقذفها و يكبر و صيغة التكبير تجوز بأي صيغة مطلقة و اختار العلماء هذا التكبير أو ما يكون نحوها " بسم الله و الله أكبر ، رغما للشيطان و رضا للرحمان اللهم أجعله حجا مبرورا و سعيًا مشكورا ، و ذنبًا مغفورا " (2)

- ج (ذبح الهدى :

الهدى إما أن يكون هدي تطوع، أو هدي تمنع أو قران أو لحيز نقصان ما ووقت ذبح الهدى يكون حسب سبب ذبح الهدى و تفصيل ذلك كالآتي :

- هدي التطوع : تعددت فيه أقوال العلماء إلى الأقوال الآتية :

- المذهب الحنفي : يجوز ذبح هدي التطوع قبل يوم النحر، و الأفضل ذبحه في أيام النحر.

- المذهب المالكي : و الخطي : وقت الذبح أيام النحر الثلاثة .

- المذهب الشافعي : يوم النحر و أيام التشريق .

- هدي التمتع و القران: و قد تعددت فيه أقوال العلماء على النحو الآتي :

- المذهب الحنفي و الحنبلي و المالكي: يختص الذبح بأيام النحر الثلاثة .

¹ - أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، في صحيح البخاري، عن عبد الله بن عمر، دار ابن الكثير، مكتبة البشري، لبنان ، بيروت، م 2016، 01، ص 83 (صحيح).

² - مجموعة من المؤلفين ، الموسومة الفقهية الكويتية ، ج 23 ، ص 152 ، ص 345 ، بتصرف .

- المذهب الشافعي: لا يختص الذبح بزمان فيجوز ذبحها بعد الإحرام في حج القرآن و التمتع .⁽¹⁾
- التحلل من الإحرام :
- ويراد بذلك الخروج من الإحرام و له قسمان هما :
- التحلل الأصغر: و يتحقق بفعل ما يأتي عند الفقهاء .
- المذهب الشافعي و الحنبلي: يحصل برمي جمرة العقبة و النحر و الحلق أو التقصير و بهذا التحلل يحل للحاج كل شيء سوى النساء .
- المذهب الحنفي : يحصل برمي الجمرة و الحلق و التقصير و بهذا يحل للحاج كل شيء عدا النساء .
- التحلل الأكبر: و بهذا التحلل يباح جميع محظورات الإحرام دون استثناء و يبدأ وقت التحلل عند المذاهب حسب ما يأتي :
- المذهب الحنفي و المالكي : طلوع فجر يوم النحر، و يحصل هذا التحلل بطواف الإفاضة بشرط الحلق أو التقصير، إلا أن المالكية زادوا السعي قبل الطواف .
- المذهب الشافعي و الحنبلي : في منتصف ليلة النحر، و يحصل باستكمال أفعال التحلل من رمي جمرة العقبة و الحلق و طواف الإفاضة المسبوق بالسعي .⁽²⁾
- ط (طواف الأفاضة :
- وقت طواف الأفاضة :

¹ - نفس المرجع ، ج 42 ، ص 249 .

² - نفس المرجع السابق، ج 10، ص 248، 249 .

ويسمى بطواف الزيارة :و هي ركن من أركان الحج باتفاق المذاهب الأربعة و المطلوب هو سبعة أشواط بحسب جمهور العلماء ،بينما قال الحنفية إن الركن المطلوب هو أداء أربعة أشواط فقط، و قد تعددت الآراء الفقهية في وقت طواف الإفاضة، و بيانها فيما يلي :

- المذهب الحنفي : من فجر يوم النحر بعد الوقوف بعرفة إلى آخر العمر .
- المذهب المالكي :من يوم عيد الأضحى إلى آخر شهر ذو الحجة .
- المذهب الشافعي : بعد نصف الليل من ليلة النحر و الأفضل أن تكون يوم النحر ،و لا آخر لوقته .

- شروط طواف الإفاضة :

- تعددت الأقوال في تحديدها وهي كالآتي : (1)

- المذهب الحنفي :

- أولا: أن يكون طوافه داخل المسجد.
- ثانيا: أن بدأ طوافه من طلوع شمس يوم النحر.

- المذهب المالكي :

- أولا: طواف سبعة أشواط .
- ثانيا: الطهارة من الحدث و الخبث
- ثالثا: ستر العورة .
- رابعا: أن يجعل الكعبة على يساره
- خامسا: الموالاة بين الأشواط
- سادسا: أن يكون الطواف داخل المسجد فلا يصبح على سطحه أو في هوائه .

¹ - عبد الله الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، ج 01، ص 589، بتصرف .

- المذهب الشافعي :

- أولاً: ستر العورة
- ثانياً: الطهارة من الحدث و الخبث
- ثالثاً: البدء بالحجر الأسود محادياً له أو لجزئه بجميع بدنه من جهة الشق الأيسر.
- رابعاً: جعل البيت على يساره أثناء الطواف .
- خامساً: طوافه سبعة أشواط .
- سادساً: أن يكون طوافه في المسجد و لو في هوائه أو على سطحه .
- سابعاً: أن لا يشتغل عن أمر غير الطواف و إلا فيعد منقطعاً على الطواف .
- ثامناً: نية الطواف.

- المذهب الحنبلي :

- أولاً: النية .
- ثانياً: دخول الوقت .
- ثالثاً: ستر العورة
- رابعاً: الطهارة من الحدث و الخبث
- خامساً: الطواف سبعة أشواط .
- سادساً: البدء بالطواف من الحجر الأسود .
- سابعاً: الطواف في المسجد و يصح على سطحه .
- ثامناً: الموالاة⁽¹⁾

¹ - نفس المرجع السابق، ص 590، 591 .

- (ي) رمي الجمرات :

اتفق الفقهاء على رمي الجمرات واجب من واجبات الحج، و من تركها يلزمه دم - ذبح هدي، لتركه واجبا من واجبات الحج، و الجمرات ثلاثة وهي :

- الجمرة الأولى :

وهي أول جمرة و تقع بعد مسجد الخيف في منى، وهي أبعد الجمرات عن مكة المكرمة و ترمي بسبع حصيات متعاقبات.

- الجمرة الثانية: بعد الجمرة الأولى و قبل جمرة العقبة ترمي سبع حصيات مع التكبير مع رمي كل حصاة .

- الجمرة الثالثة: وهي جمرة العقبة، ترمى بسبع حصيات، و يقوم الحاج بالتكبير مع كل حصاة ...

- أما وقت رمي الجمار فأول وقت الرمي يكون في أيام التشريق بعد الزوال قال جابر رضي الله عنه " رأيت النبي صلي الله عليه و سلم رمي الجمرة يوم النحر ضحى فأما بعد ذلك فعند زوال الشمس " و الأفضل أن ترمى قبل الغروب، و قد تعددت الآراء في آخر وقت للرمي إلى ما يلي:

- قول الإمام أبي حنيفة: ينتهي رمي كل يوم بطلوع فجر اليوم الذي بعده .
- قول الإمام مالك: آخر وقت رمي كل يوم ينتهي بغروب شمس ذلك اليوم .
- قول الشافعية و الحنابلة: ينتهي الرمي في آخر التشريق، فهي كلها كالיום الواحد .⁽¹⁾

- (ن) طواف الوداع :

¹⁻ سعيد القحطاني، رمي الجمرات، في ضوء الكتاب و السنة و آثار الصحابة رضي الله عنهم، ج 01، ص 26،47،60، 61، بتصرف .

يسمى طواف الصدر، و طواف آخر العهد و سبب تسميته بذلك لأن الحاج يودع به البيت الحرام، و ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه واجب، ووقته يكون عقب إنتهاء الحاج من جميع مناسك الحج و أي طواف يفعله الحاج بعد طواف الزيارة يجزى عند طواف الوداع و من شروطه :

- أن يكون من أهل الأفاق فلا يجب على أهل مكة و هذا الشرط عند المذاهب الفقهية الأربعة.

- الطهارة من الحيض و النفاس . (1)

- حكم من أخل بترتيب مناسك الحج :

لا يجوز للحاج التغيير في ترتيب مناسك الحج ،و دليل ذلك حديث النبي صلي الله عليه و سلم { من أدرك معنا هذه الصلاة و أتى عرفات قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجة و قضى تغته }

فقد دل الحديث على ترتيب أعمال الحج و عدم جواز تقديم أو تأخير أحدها على الآخر، فمثلا لو قام الحاج بتقديم المبيت في مزدلفة على الوقوف بعرفة لم يصح منه ذلك . (2)

و فيها يتعلق بترتيب على أعمال يوم النحر، فقد تعددت آراء الفقهاء في حكم ترتيبها، فمنهم من ذهب إلى وجوب الترتيب بين أعمال يوم النحر، و من لم يوجب ذلك . (3)

و أقوال المذاهب في ذلك كما يأتي :

¹ - مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية الدرر النية، ج 02، ص 316،319، بتصرف

² - عبد الله البسام توضيح الأحكام من بلوغ المرام، ج 4، ص 159، بتصرف

³ - مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية، ج 17، ص 346، بتصرف

- المذهب الحنفي: أوجب تقديم الرمي ثم الذبح ثم الحلق ثم الطواف .
- المذهب المالكي: أوجب تقديم الرمي على الحلق و الطواف .
- المذهب الشافعي و الحنابلة: لم يوجبوا الترتيب بين أعمال يوم النحر .⁽¹⁾
- تبدأ أعمال الحج بالإحرام و تنتهي بطواف الوداع و أعمال الحج كاملة و التي تنوعت بين ركن و واجب، هي البدء بالاحترام فالسعي فالوقوف بعرفة، فالمبيت بمزدلفة، فرمي جمرة العقبة فالتحلل من الإحرام فطواف الإفاضة، فرمي الجمرات، ثم طواف الوداع و لا يجوز للحاج التغيير في ترتيب أعمال و مناسك الحج، و عليه القيام بها بالترتيب المذكور و قد تعدد آراء الفقهاء في ترتيب مناسك الحج، فمنهم من قدم الرمي على الحلق و الطواف، و منهم من قدم الرمي على الذبح و الحلق و منهم من لم ير وجوب ترتيب أعمال يوم النحر .

- رحلة الحج لابن بطوطة :

¹ - سعيد جوى، الأساس في السنة وفقهها، ج 07، ص 3101، بتصرف

- الفضاءات المكانية عند " ابن بطوطة " :

خرج "ابن بطوطة" من مصر في سنة 1326 م، متوجها إلى دمشق بغرض الالتحاق بالشاميين في مسيرهم إلى البقاع المشرفة في المدينة المنورة و مكة المكرمة فتمكن الركب الشامي و معهم ابن بطوطة من دخول المدينة المنورة فوصف لنا المسجد النبوي و خدمه و راح ينقل بعض حكاوي الناس مشاهيرهم و مغاميرهم في تلك المدينة العطرة و هي حكايا تصف لنا الإنساني و الاجتماعي في تلك البقاع المشرفة فضلا عن ثقافة ذلك العصر ثم انتقل الى وصف الطريق من جديد بين مكة و المدينة و هي طريق وعرة شديدة الخطورة حتى من الله عليهم بالوصول إلى مشارف مكة المكرمة فينزلون بقرب مسجد الحليفة و المدينة منه على خمسة أميال و هو منتهى حرم المدينة و بالقرب منه وادي العقيق، و هنالك تجرد رحالتنا من مخيط ثيابه و أغتسل و ليس ثوب أحرامه، ثم رحل منه و نزل بالروحاء، ثم بالصفراء، و هو واد معمور فيه ماء و نذل و نبيان، و قصر بسكنه الشرفاء الحسينيون و سراهم، ثم نزل و صحبه لبدر حيث الموقعة الشهيرة

و يقول رحالتنا في وصف "مكة المكرمة" و هي مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة في بطن واد تحق به الجبال، فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها و تلك الجبال المطلة عليها ليست بمفرطة الشموخ، و الأخشبان من جبالها هما جبل أبي قبيس و هو في جهة الجنوب منها، و جبل قعيقعان و هو في جهة الغرب منها، و في الشمال منها الجبل الأحمر، و من جهة أبي قبيس أجياد الأكبر و أجياد الأصغر، و هما شعبان و الخندمة وهي جبل و المناسك كلها - منى و عرفة و المزدلفة - بشرفي مكة شرفها الله، و لمكة من الأبواب ثلاثة: باب المعلى بأعلاها، و باب الشبيكة من أسفلها و يعرف أيضا بباب

الزاهر، و باب العمرة و هو إلى جهة المغرب، و عليه طريق المدينة الشريفة، و مصر و الشام و جدة و منه يتوجه إلى التنعيم و باب المسفل و هو من جهة الجنوب (1)

وصف لنا ابن بطوطة مكة المكرمة وحدد لنا اتجاهاتها، فهي مدينة عربية إسلامية تحظى بمكانة دينية عظيمة حيث تظم أهم المقدسات الإسلامية التي يقصدها ملايين المسلمين، و تعتبر بوابة الحرمين الشريفين و من الناحية المكانية تمثل البوابة الغربية للمملكة، و محورا مهما للتنقل البري، كما أنها تعتبر منطقة ربط مع مختلف مناطق المملكة مثل : الباحة، و عسير و المدينة المنورة في الشمال، أما من الناحية الاقتصادية فهي تضم العديد من المراكز العمرانية و التجارية و الأنشطة الاقتصادية المختلفة، كما ذكر لنا "ابن بطوطة " أهم الجبال التي تحف بمكة المكرمة مثل جبل أبي قبيس و هو من أقرب الجبال إلى الكعبة حيث يقع في جهة الجنوب منها و يعتبر من الجبال التي كانت مأهولة و مكتظة بالسكان و جبل قعيقعان وهو الأخشب الآخر في جهة الغرب منها يتكون من مجموعة من القمم الجبلية و بطل على العديد من أحياء المدينة مثل حي السليمانية، وهي الشامية ، و العتيبية وحي حارة الباب و في الشمال منها الجبل الأحمر و كان يسمى في الجاهلية (الأعراف) فيطل على حارة الباب و الشامية و يفصل بين القرارة و حارة الباب في مكة المكرمة، إضافة إلى جبل الخندمة و شعبان و هما من جهة جبل أبي قبيس، وملكة باب المعلى بأعلاها، و باب الشبيكة من أسفلها و باب العمرة من جهة المغرب، و من جهة الجنوب باب المسفل، فقد ورد ذكر الجبال في القرآن الكريم في أكثر من سورة، قال الله تعالى :

¹ - محمد بن عبد الله ابن بطوطة و ابن جزي الكلبي ، رحلة ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، مؤسسة هنداوي، 2020، ص 94 .

"وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ" {ق . الآية 07 }

تكتف مكة المكرمة مجموعة من الجبال تتشكل من تلك الجبال عدة أودية، قال الله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ { سورة إبراهيم ، الآية 37 }

و من أشهر هذه الأودية نذكر وادي إبراهيم وهو واد يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي من المدينة و يعتبر الوادي الرئيسي للمدينة، وادي الزاهر (وادي فخ) و هو ثاني الأودية الرئيسية في المدينة و يعرف بعدة أسماء منها الزاهر و خريق الشر، و أم الجود، وادي محسر و هو ثالث الأودية الرئيسية في المدينة و يمتد من منطقة المعيصم متجها إلى الناحية الجنوبية و هو الوادي الذي يفصل بين منى و المزدلفة ⁽¹⁾

و يصف " ابن بطوطة " المسجد الذي يقع في وسط البلد بقوله " و هو متسع الساحة طوله من شرق إلى غرب أزيد من أربعمئة ذراع حكي ذلك الأزرقى، و عرضه يقرب من ذلك و الكعبة العظمة في وسطه و منظره بديع و مرآه جميل لا يتعاطى اللسان وصف بدائعه و لا يحيط الوصف بحسن كماله، و ارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعا و سقفه على أعمدة طوال مصطفة ثلاثة صفوف بأقن صناعة و أجملها و قد أنتظمت بلاطاته الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاط واحد، و عدد سواريه الرفاهية أربعمئة وإحدى و تسعون سارية ما عدا الحصية التي في دار الندوة المزينة في الحرم، وهي داخلة في البلاط الآخر في الشمال، و يقابلها المقام مع الركن العراقي و قضاؤها متصل يدخل من

¹ - إيمان بنت إبراهيم كفي، الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز آل مسعود، مكتبة الملك فهد، مكة المكرمة، ط 01، ص 42 { بتصرف }

هذا البلاط إليه و يتصل بجدار هذا البلاط مساطب تحت قسي ثنايا يجلس بها المقرئون و الناسخون و الخياطون و في جدار البلاط الذي يقابله مساطب تماثلها و سائر البلاطات حصية و للخليفة المهدي محمد بن الخليفة أبي جعفر المنصور رضي الله عنهما آثار كونهما في توسيع المسجد الحرام و أحكام بنائه و في أعلى جدار البلاط الغربي مكتوب أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين أصله الله بتوسعه المسجد الحرام لحاج بيت الله و عمارته في سنة سبع و ستين و مائة " (1)

المسجد الحرام هو أعظم مسجد في الإسلام و يقع في قلب مدينة مكة غرب المملكة العربية السعودية، منظره بديع و مرآه جميل، تتوسطه الكعبة المشرفة التي هي أول بيت وضع الناس على وجه الأرض ليعبدوا الله فيه تبعاً للعقيدة الإسلامية، و هذه هي أعظم و أقدس بقعة على وجه الأرض عند المسلمين و المسجد الحرام هو قبلة المسلمين في صلاتهم، و إليه يحجون، سمي بالمسجد الحرام لحرمه القتال فيه منذ دخول النبي محمد صلي الله عليه و سلم إلى مكة المكرمة منتصراً، و يؤمن المسلمون أن الصلاة فيه تعادل مائة ألف صلاة ذكر في القرآن: " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ " { سورة آل عمران، 96 }.

و المسجد الحرام هو أول المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، فقد قال النبي محمد صلي الله عليه و سلم " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام و مسجدي هذا (المسجد النبوي) و المسجد الأقصى "

¹ - محمد بن عبد الله ابن بطوطة وابن جزي الكلبي، رحلة ابن بطوطة، تحفة انتظار في غرائب الأمطار و عجائب الأسعار ، مؤسسة هنداوي، 2020، ص 94 .

و يعرف أيضا باسم المسجد الكبير في مكة و لا يمكن ذكر المسجد الحرام دون ذكر الكعبة إذ يبدأ تاريخ المسجد بتاريخ بناء الكعبة المشرفة التي تعد قبلة المسلمين في صلواتهم و حولها يطوفون أثناء أداء فريضة الحج ، فيصفها ابن بطوطة بقوله : " و الكعبة ماثلة في وسط المسجد وهي بنية مربعة ارتفاعها في الهواء من الجهات الثلاث ثمان و عشرون ذراعا ، و من الجهة الرابعة التي بين الحجر الأسود و الركن اليماني تسع و عشرون ذراعا، و عرض صفحتها التي من الركن العراقي إلى الحجر الأسود أربعة و خمسون شبرا و كذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن اليماني إلى الركن الشامي، و عرض صفحتها التي من الركن العراقي إلى الركن الشامي من داخل الحجر ثمانية و أربعون شبرا، و كذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن الشامي إلى الركن العراقي، و أما خارج الحجر و كذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الشامي إلى الركن العراقي، و أما خارج الحجر فإنه مائة و عشرون بشرا، و الطواف إنما هو خارج الحجر و بناؤها بالحجارة الصم السمر قد ألصقت بأبدع الإلصاق و أحكمه و أشهده فلا تغيرها الأيام و لا تؤثر فيها الأزمان، و باب الكعبة المعظمة في الصفح الذي بين الحجر الأسود و الركن العراقي، و بنيه و بين الحجر الأسود عشرة أشبارا، و ذلك الموضع هو المسمى بالملتزم، حيث يستجاب بالدماء و ارتفاع الباب عن الأرض أحد عشر شبرا و نصف شبر، و سعته ثمانية أشبار، و طوله ثلاثة عشر شبرا و عرض الحائط الذي ينطوي عليه خمسة شبرا و هو مصفح بصفائح الفضة بديع الصنعة و عضاداته و عتبه العليا مصفحات بالفضة و له نقارتان كبيرتان من فضة عليهما قفل " (1)

توصف الكعبة أنها بناء مكعب الشكل، بابها مرفوع عن الأرض مصنوع من الفضة مزين بكتابات عربية قرآنية، فكان لا يصعد إليها إلا في درج أو سلم، و من المعروف أن أركان الكعبة أربعة وهي الركن الأسود و الركن الشامي الذي يلي الركن الشامي حسب

جهة الحركة في الطواف و الركن اليماني و هو ركن يلي الركن الغربي حسب جهة الحركة في الطواف و الموازي لركن الحجر الأسود و الركن العراقي و هو ركن يلي الركن الشرقي حسب جهة الحركة في الطواف، و من هنا نقول أن الكعبة المعظمة الشريفة هي نور لائح مشرق من سوادها .

- المجتمع المكي في رحلة ابن بطوطة :

- ذكر أهل مكة و فضائلهم:

يملك أهل مكة المكرمة العديد من الصفات الجيدة مثل الحكمة و الهدوء و تتجلى فيهم حسن الضيافة و كرم الطباع و الأخلاق الحسنة فأعجب بها "ابن بطوطة" إعجابا شديدا ووصف لنا ذلك قائلا : " و لأهل مكة الأفعال الجميلة و المكارم التامة و الأخلاق الحسنة و الأيثار إلى الضعفاء و المنقطعين و حسن الجوار للغرباء، و من مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المحاورين و يستدعيهم بتلطف ورفق و حسن خلق، ثم يطعمهم و أكثر المساكين المنقطعين يكونون بالأقران حيث يطبخ الناس أخبارهم، فإذا طبخ أحد خبزة و احتمله إلى منزله، فيتبعه المساكين فيعطي لكل واحد منهم ما قسم لدولائهم خائبين و لو كانت له خبزة واحدة، فإنه يعطي ثلثها أو نصفها طيب النفس بذلك من غير ضجر .

و من أفعالهم الحسنة أن الأيتام الصغار يقعدون بالسوق و مع كل واحد منهم قفتان كبيرى و صغرى و هم يسمون القفة مكتلا فيأتي الرجل إلى أهل مكة إلى السوق فيتشري الحبوب و اللحم و الخضر و يعطي ذلك للصبي فيجعل الحبوب في إحدى قفقيه و اللحم و الخضر في الأخرى، و يوصل ذلك إلى دار الرجل ليهيء له طعامه منها، و يذهب الرجل إلى طوافه و حاجته، فلا يذكر أن أحد من الصبيان فإن الأمانة في ذلك قط، بل يؤدي ما حمل على أتم الوجوه و لهم في ذلك أجرة معلومة من فلوس، و أهل مكة لهم ظرف و نظافة في الملابس و أكثر لباسهم البياض، فترى ثيابهم أبدا ناصعة ساطعة و

يستعملون الطيب كثيرا و يكتحلون و يكثررون السواك بعيدان الآراك الأخضر، و نساء مكة فائقات الحسن بارعات الجمال ذوات صلاح و عفاف، و هن يكثرنا التطيب حتى إن إحداهن لتبيت طاوية و تشتري بقوتها طيبا ،و هن يقصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة، فيأتين في أحسن زي و تغلب على الحرم رائحة طيبهن " (1)

أعجب ابن بطوطة بكرم أهل مكة سواء في المأكل و المشرب أو في طيب المعاملة و حسن الحوار بالإضافة إلى حسن استقبال الضيف، و مما لفت ابن بطوطة أيضا في أهم مكة أنافتهم و نظافتهم إن كل واحد منهم يهتم بفطره و هندامه و أكثر لباسهم البياض فترى ثيابهم ناصعة ساطعة، و أهل مكة المكرمة يربون أولادهم و أنفسهم على إكرام الضيوف و على الصبر و التحمل و يعتبرون هذا ما يقربهم من الله تعالى و يحرصون على تقديم العون و سبل الراحة للزوار حتى يتمكنوا من أداء مناسكهم باطمئنان و راحة إضافة إلى امتلاكهم الحكمة و الهدوء بدرجة كبيرة و يملئهم الشعور بالامتنان إلى الله تعالى لأنه جعلهم بجواره و شرفهم و اختصهم بخدمة ضيوف البيت الحرام ، كما أن " المجتمع المكي يتكون من خليط سكاني، قد نمازج و تآلف و تقارب و تزواج و انصهر في البوتقة المكية، و ذابت الفوارق و أصبح مجتمعا موحدًا يربطه الدين و مجاورة البيت الحرام و تعظيمه " (2)

- وصف ابن منظور للمقدسات المكانية في بيت مكة الحرام :

قدم لنا " ابن بطوطة " صورة لكل الأماكن المقدسة الجميلة و الهادئة التي تجلب الفرح و السرور و لمشاهديها وهي كالاتي :

¹ - المرجع السابق، ص 105، 106

² - إيمان بنت إبراهيم كفي، الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة، في عهد الملك عبد العزيز آل سعود، مكتبة الملك فهد، مكة المكرمة، ط 1، ص 760

➤ ذكر الميزان المبارك :

يعرف الميزان المبارك بأنه موضع استجابة الدعاء لما له من بركات، فأول من وضعه نهي قريش حيث بنت الكعبة المشرفة و جعلت لها سقفا، و يصفه " ابن بطوطة بقوله : " و الميزان في أعلى الصفح الذي على الحجر و هو من الذهب و سعته شبر واحد، و هو بارز بمقدار ذراعين و الموضع الذي تحت الميزان مظنة استجابة الدعاء، و تحت الميزان في الحجر هو قبر إسماعيل عليه السلام و عليه رخامة خضراء مستديرة و كلتاها سعتها مقدار شبر و نصف شبر، و كلتاها غريبة الشكل رائقة المنظر، و إلى جانبه مما يلي الركن العراقي قبر أمه هاجر عليهما السلام، و علامته رخامة خضراء، مستدير سعتها مقدارا شبر و نصف، و بين القبرين سبعة أشبار " (1)

ميزان الكعبة المشرفة هو الجزء المثبت على سطح الكعبة في الجهة الشمالية و الممتد نحو الحجر، و المصرف للمياة المتجمعة على سطح الكعبة عند سقوط الأمطار أو غسل السطح إلى حجر الكعبة .

➤ ذكر الحجر الأسود :

" و أما الحجر الأسود، فارتفاعه عن الأرض ستة أشبار، فالطويل من الناس يتطامن لتقبيله و الصغير يتناول إليه و هو ملصق في الركن إلى جهة الشرق و سعته ثلثا شبر و طوله شبر و عقد، و لا يعلم قدر ما دخل منه في الركن، و فيه أربع ملصقة ... و جوانب الحجر مشدودة بصفحة من فضة يلوح بياضها على سواد الحجر الكريم فتجتلي منه العيون حسنا باهرا، و لتقبيله لذة يتنعم بها الفم و يود لاثمه أن لا يفارق لثمه خاصية مودعة فيه و عناية ربانية به، و كفى رسول الله صلي الله عليه و سلم " أنه يمين الله في أرضه " نفعنا الله باستلامه و مصافحته، و أوفد عليه كل شيق إليه، و في القطعة

¹ - محمد عبد الله ابن بطوطة و ابن جزي الكلبي، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، مؤسسة هنداوي ، هشام ، ص 96 .

الصحيحة من الحجر الأسود مما يلي جانبه الموالي ليمين مستلمه نقطة بيضاء صغيرة مشرقة كأنها خال في تلك الصحيفة البهية، و ترى الناس إذا طافوا بها يتساقط بعضهم على بعض ازدحاما على تقبيله ، فقل ما يتمكن أحد من ذلك إلا بعد المزاحمة الشديدة و كذلك يصنعون عند دخول البيت الحرام و من عند الحجر الأسود ابتداء الطواف، و هو أول الأركان التي يلقاها الطائف، فإذا استلمه تقهقر عنه قليلا و جعل الكعبة الشريفة عن يساره و مضى في طوافه ، ثم يلقي بعده الركن العراقي و هو إلى جهة الشمال، ثم يلقي الركن الشامي و هو إلى جهة الغرب، ثم يلقي الركن اليماني و هو إلى جهة الجنوب ، كم يعود إلى الحجر الأسود و هو إلى جهة الشرق " (1)

الحجر الأسود هو الحجر موضع إجلال مكون من عدة أجزاء يضاوي الشكل ،أسود اللون ،مائل إلى الحمرة، يوجد في الركن الجنوبي الشرقي للكعبة من الخارج وفقا للعقيدة الإسلامية فهو نقطة بداية الطواف و منتهاه و لعظمته يزدحم الناس لتقبيله لما له من لذة يتنعم بها الفم و جوانبه مشدودة بصفيحة من فضة يعكس بياضها على سواده، فتبعث للعيون نورا ساطعا.

➤ ذكر المقام الكبير :

" أعلم أن بيت باب الكعبة شرفها الله و بيت الركن العراقي موضعا طوله أثنا عشر كثيرا و عرضه نحو النصف من ذلك و ارتفاعه نحو شبرين، و هو موضع المقام في مدة إبراهيم عليه السلام ثم صرفه النبي صلي الله عليه و سلم إلى الموضع الذي هو الآن مصلى ، و بقي ذلك الموضع شبه الحوض و إليه ينصب ماء البيت الكريم إذا غسل، و هو موضع مبارك يزدحم الناس للصلاة فيه، و موضع المقام الكريم يقابل ما بين الركن العراقي و الباب الكريم و هو إلى الباب أميل و عليه قبة تحتها شباك حديد متجاف عن المقام الكريم قدر

1- المرجع السابق ، ص 96،97

ما تصب أصابع الإنسان إذا أخل يده من ذلك الشباك إلى الصندوق و الشباك مقفل و من ورائه موضع محوز قد جعل مصلى لركعتي الطواف، و في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه و سلم تسليما لما دخل المسجد أتى البيت فطاف به سبقا ثم أتى المقام فقرا " و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " و ركع خلفه ركعتين و خلف المقام مصلى إمام الشافعية في العظيم الذي هنالك " (1)

مقام إبراهيم هو حجر أثري قام عليه النبي إبراهيم عند رفع قواعد الكعبة وفقا للعقيدة الإسلامية و هو الذي قام عليه بالأذان و النداء للحج بيت الناس، قال تعالى " و إذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم " (سورة البقرة، الآية 27)

وهو عبارة عن حجر مربع الشكل لونه بين البياض و السواد و الصفرة و مغطى حاليا بواجهة زجاجية عليها غطاء من النحاس من الخارج و أرضية رخامية و يصلون خلفه ركعتين الطواف " و إن هذا الحجر الكريم (مقام إبراهيم) الذي قام عليه إبراهيم الخليل لبناء البيت، هو نفسه الذي قام عليه حين أمر بالأذان بالحج، و لا مانع من تكرار صعوده على المقام مرة للبناء و أخرى للنداء، و هو صريح الروايات في ذلك و من آيات الله البينة الباقية على ممر الأزمان في حرم الله الآمن، أثر قدمي بنية إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام في ذلك الحجر الكريم (مقام إبراهيم) وقد جعل الله ذلك معجزة له حين قام ثم لما رفع قدميه عنه خلق الله فيه الصلابة الحجرية مرة أخرى، و بقي أثرهما ظاهرا فيه من ذلك العصر، من خمسة آلاف سنة إلى يومنا هذا، و قد تغير أثر قدميه في ذلك الحجر عن هيئته وصفته الأصلية، حتى أصبح موضعهما حفرتان، و ذلك بمسح الناس له بأيديهم خلال هذه القرون الطويلة قبل وضع المقام مكشوفاً في الجاهلية و عدة

¹ - المرجع السابق، ص 97 .

قرون من عهد الإسلام، و قد كان أثر أصابع و أخص قدميه الشريفتين في الحجر واضحاً إلى زمن الصحابة رضوان الله عليهم " (1)

يقال أن هذا الحجر هو حجر رخو غاصت فيه قد النبي إبراهيم و برزت فيه آثار قدميه و لكن نتيجة لتمسح الناس فيه طمست ملامح القدم حتى أصبح موضعهما حفرتان.

➤ ذكر الحجر و المطاف :

" و دور جدار الحجر تسع و عشرون خطوة (29)، وهي أربعة و تسعون شبرا (94) من الداخل الدائرة و هو بالرخام البديع المجزع المحكم الإلصاق و ارتفاعه خمسة أشبار و نصف شبر، و سعته أربعة أشبار و نصف شبر، و داخل الحجر بلاط واسع مفروش بالرخام المجزع المنظم المعجز الصنعة البديع الإتقان، و بين جدار الكعبة الشريفة الذي تحت الميزان و بين ما يقابله من جدار الحجر على خط استواء و أربعون شبرا و للحجر مدخلان أحدهما بينه و بين الركن العراقي و سعته ستة أذرع، و هذا الموضع هو الذي تركته قريش من البيت حين بنته كما جاءت الآثار الصحاح، و المدخل الآخر عند الركن الشامي و سعته أيضا ستة أذرع و بين المدخلين ثمانية و أربعون شبرا و موضع الطواف مفروش بالحجارة السود محكمة الإلصاق و قد اتسعت عن البيت بمقدار تسع خطأ إلا في الجهة التي تقابل المقام الكريم، فإنها امتدت إليه حتى أحاطت به، وسائر الحرم مع البلاطات مفروش برمل أبيض، و طواف النساء في آخر الحجارة المفروشة " (2)

المطاف هو الفناء المفروش بالرخام الأبيض الذي يحيط بالكعبة المعظمة، و يطوف المسلمون فيه حول الكعبة و فيه الحركة متصلة أثناء الليل و النهار ما بين طائف و راع و ساجد، و سمي بالمطاف نسبة إلى الطواف و هو الدوران حول الكعبة المشرفة، فقدما

¹ - سائد بن محمد يحيى بكداش، فضل الحجر الأسود و مقام إبراهيم و ذكر تاريخهما و أحكامهما الفقهية و ما يتعلق بهما، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط 01، 1996، ص 9، 99، 100 .

² - محمد بن عبد الله ابن بطوطة، المرجع السابق، ص 97

كانت البيوت تحيط بالبيت العتيق من جميع جوانبه، و لم يترك للطائعين سواء مدار المطاف، و مع ازدياد أعداد المسلمين بدأت تتسع دائرة المطاف لتستوعب الأعداد المتزايدة من المسلمين و الحجر بالرخام البديع و المعجز الصنعة بداخله بلاط واسع مفروش بالرخام له مدخلان أحدهما بينه و بين الركن العراقي الذي يلي الركن الشرقي حسب جهة الحركة في الطواف و الآخر عند الركن الشامي الذي يلي الركن الشمالي حسب جهة الحركة في الطواف و ما بينهما ثمانية و أربعون شبرا (48) .

➤ ذكر زمزم المباركة :

ماء زمزم شفاء لمن شرب منه يقول صلي الله عليه و سلم عليه و سلم: " إنها مباركة، إنها طعام طعم و شفاء سقم " فالشرب منها و الترويض منها، كل ذلك من أسباب الشفاء و العاطفة فيصقها ابن بطوطة بقوله: " وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الأسود ، و بينهما أربع و عشرون خطوة، و المقام الكريم عن يمين القبة و من ركنها إليه عشر قطا ، و داخل القبة مفروش بالرخام الأبيض و تنور البئر المباركة في وسط القبة مائلا إلى الجدار المقابل للكعبة الشريفة، وهو من الرخام البديع الإلصاق مفروغ بالرصاص و دوره أربعون شبرا، و ارتفاعه أربعة أشبار، و نصف شبر و عمق البئر إحدى عشرة قامة، و هم يذكرون أن ماءها يتزايد كل ليلة جمعة و باب بالقبة إلى جهة الشرق، و قد استدارت بداخل القبة سقاية سعتها شبر و عمقها مثل ذلك، و ارتفاعها عن الأرض نحو خمسة أشبار تملأ ماء للوضوء و حولها مسطبة يقعد الناس عليها للوضوء و يلي قبة زمزم الشراب المنسوبة إلى العباس رضي الله عنه و بابها إلى جهة الشمال و هي الآن يجعل بها ماء زمزم في قلال يسمونها الدوارق في و كل دورق له مقبض واحد، و تترك بها سرد فمشربه الناس و بها إشراف للمصاحف الشريفة و الكتب التي للحرم الشريف " (1)

¹ - المرجع السابق ، ص 98

و قيل يسمى باب الرباط لأنه يدخل منه الرباط السدرة، و منها باب الندوة و يسمى بذلك ثلاثة أبواب: اثنان منتظمان و الثالث في الركن الغربي من دار الندرة و، دار الندوة قد جعلت مسجدا شارعا في الحرم مضافا إليه و هي تقابل الميزاب، و منها باب صغير لدار العجلة محدث، و منها باب السدرة واحد، و منها باب العمرة واحد و هو من أجامل أبواب الحرم، و منها باب إبراهيم واحد و الناس مختلفون في نسبته فبعضهم ينسبه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام و الصحيح أنه منسوب إلى إبراهيم الخوزي من الأعاجم، و منها باب الحزورة مفتح على بابين، و منها باب أجياد الأكبر مفتح على بابين و منها باب ينسب إلى أجياد أيضا مفتح على بابين، و باب ثالث ينسب إليه مفتح على بابين و يتصل بباب الصفا، و من الناس من ينسب البابين من هذه الأربعة المنسوبة لأجياد إلى الدقاقين .

و صوامع المسجد الحرام خمس إحداهن على ركن أبي قبيس عند باب الصفا و الأخرى على ركن باب بني شيبه، و الثالثة على باب دار الندوة و الرابعة على ركن باب السدرة و الخامسة على ركن أجياد .

و من المشاهد الكريمة بمقربة من المسجد الحرام قبة الوحي وهي دار خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بمقربة من باب النبي صلي الله عليه و سلم و في البيت قبة صغيرة حيث ولد فاطمة عليها السلام، و بمقربة منها دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه، و يقابلها جدار مبارك فيه حجر مبارك بارز طرفه من الحائط يستلمه الناس و يقال: إنه كان يسلم على النبي صلي الله عليه و سلم " (1)

¹ - محمد ابن عبد الله ابن بطوطة و ابن جزى الكلبي، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، مؤسسة هنداوي، 2020، ص 98، 99، 100 .

➤ ذكر الصفا و المروة :

"و من باب الصفا الذي هو أحد أبواب المسجد الحرام إلى الصفا بين و سبعون خطوة و سعة الصفا سبع عشرة خطوة و له أربع عشرة درجة عليها كأنها مسطبة و بين الصفا و المروة أربعمئة و ثلاث و تسعون خطوة، منها من الصفا إلى الميل الأخضر ثلاث و تسعون خطوة و من الميل الأخضر إلى الميلين الأخضرين خمس و سبعون خطوة، و من الميلين الأخضرين إلى المروة ثلاثمئة و خمس و عشرون خطوة و للمروة خمس درجات وهي ذات قوس واحد كبير، و سعة المروة سبع عشرة خطوة، و الميل الأخضر هو سارية خضراء مثبتة مع ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم على يسار السامي إلى المروة و الميلان الأخضران هما ساريتان خضراوان إزاء باب علي من أبواب الحرام" (1)

➤ ذكر الجبانة المباركة :

وجبانة مكة خارجها باب المعلن و يعرف ذلك الموضع أيضا بالحجرة و بهذه الجبانة هدفت الجم الغفير من الصحابة و التابعين و العلماء الصالحين و الأولياء" (2)

وصف لنا ابن بطوطة أبواب المسجد الحرام التي تزداد غالبا مع كل توسعة للحرام وهي تتوزع حول المسجد الحرام من الجهات الأربع، و العديد من هذه الأبواب تحتوي على مداخل عدّة مصممة شكل جميل و استخدم في تصميمها أفخر أنواع الخشب و نذكر أبرز هذه الأبواب فيما يأتي :

باب الصفا و هو أكبر أبواب المسجد، و يطلق عليه قديما بباب بني مخزوم لأن بئر زمزم، بئر ماء في الحرم المكي بمدينة مكة المكرمة، ماءا مباركا و فيه شفاء للأسقام، و داخل قبة بئر زمزم مفروش بالرخام الأبيض الذي يعكس نوره عليها فيجعلها تتلأأ داخل القبة، و

¹ - نفس المرجع ، ص 100 .

² - المرجع نفسه ، ص 101 .

يذكر أن ماءها يتزايد كل ليلة جمعة " فإن ماء زمزم نعمة عظمى و آية كبرى من آيات الله
البيئات في بيت الله و حرمة و من أعظم المنافع المشهودة فيه و هو أولى الثمرات التي
أعطاهها الله تعالى لبنيه إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام حيث دعا بقوله ﴿ رَبَّنَا إِنِّي
أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ
النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ {سورة إبراهيم ، الآية 37 }
فكان ماء زمزم سقيا الله و غيثه لولد خليله إسماعيل عليهما الصلاة و

السلام ، و هو الماء المبارك الشريف الذي طهر في بقعة مباركة السيد مبارك بواسطة
الأمين جبريل عليه السلام ماء له فضل عظيم و قدر كبير، فهو سيد المياه و خيرها و
أشرفها و أجملها ، و في هذا يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم : " خير ماء وجه
الأرض ماء زمزم " (1)

ماء زمزم هو ماء مبارك من رسول الله صلى الله عليه و سلم، ماء إن شربته
أشبعك و أشقاك و قضى الله لك حاجتك، و سمح لنا الرسول صلى الله عليه و سلم
الوضوء به فهو نعمى عظيمة من نعم الله عز وجل .

- ذكر أبواب المسجد الحرام و ما دار به من المشاهد الشريفة :

المسجد الحرام هو أول بيت وضع للناس و هو مقصد المسلمين في الحجر فقد أمر
الله المسلمين بحج بيته ، قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
﴿سورة آل عمران ، الآية 97 ﴾

¹ - سائد بن محمد يحيى بكداش، يليه الحافظ بن حجر، فضائل ماء زمزم و ذكر تاريخه و أسمائه و خصائصه و بركاته و نية شربه
و أحكامه و الاستشفاء به و جملة من الأشعار في مدحه ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، مقدمة ط 01 ، ص 14 .

و للمسجد الحرام تسعة عشر بابا و قد صنعت فيه الأبواب من أفضل أنواع الخشب و أجوده و طليت بمعدن مصقول و وضع فيه الحلقات النحاسية لتبدوا و كأنها تحفة فنية رائعة الجمال فيصفها ابن بطوطة بقوله : " أبواب المسجد الحرام شرفه الله تعالى تسعة عشر بابا و أكثرها مفتحة على أبواب كثيرة فمنها باب الصفا و هو منفتح على خمسة أبواب و كان قديما يعرف بباب بني مخزوم و هو أكبر أبواب المسجد و منه يخرج إلى المسعى و يستحب للوفد على مكة أن يدخل المسجد الحرام - شرفه الله - من باب بني شيبه و يخرج بعد طوافه من باب الصفا (...) و منها باب أجياد الأصغر مفتح على بابين و منها باب الخياطين مفتح على بابين، و منها باب العباس رضي الله عنه مفتح على ثلاثة أبواب و منها باب النبي صلى الله عليه و سلم تسليما مفتح على بابين و منها باب بني شيبه وهو في ركن الجدار الشرقي من جهة الشمال أمام باب الكعبة الشريفة متياسرا و هو مفتح على ثلاثة أبواب و هو باب بني عبد شمس و منه كان دخول الخلفاء و منها باب صغير إزاء باب بني شيبه لا اسم له .

بني مخزوم سكنوا في تلك الناحية و سمي بيان الصفا لأنه مقابل جبل الصفا، فيرجع بدء السعي بين الصفا و المروة إلى زمن النبي إبراهيم، حيث تعتبر السيدة هاجر أول من سعي بين الصفا و المروة، حينما كانت تلتمس الماء لابنها النبي إسماعيل فكانت تصعد على جبل الصفا ثم تنزل حتى تصل جبل المروة، و قد كررت ذلك سبعة أشواط، حتى وجدت الماء عند موضع زمزم، فشربت و أرضعت ولدها، فلما جاء الإسلام جعل ذلك مناسك الحج و العمرة و الطريق الذي يربط بين الصفا و المروة يسمى مسعى " (1)

الصفا و المروة جبلان يقعان شرقي المسجد الحرام و يعدان رمزين شهريين لشعيرة السعي و إذا أراد الحاج أو المعتمر السعي يتوجب عليهما البدء من الصفا قال الله تعالى :

¹ - سامي عبد الله المغلوث، أطلس الحج و العمرة، تاريخا وفقها، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط 02، 2014، ص 46

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۚ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة ، الآية 157 }

و منها باب أجياد الأصغر الذي يمكن اعتباره واحد من أصغر أبواب المسجد الحرام و مع ذلك فهو يحتوي على بابين، و منها باب الخياطين مفتوح على بابين، و منها باب العباس رضي الله عنه، و قد تمت تسميته بهذا الاسم لأنه كان يقابل دار العباس بن عبد المطلب و هو مفتوح على ثلاثة أبواب و منها باب النبي صلي الله عليه و سلم مفتوح على بابين، و منها باب بني شيبه أمام باب الكعبة مفتوح على ثلاثة أبواب، و منها باب الندوة و هو مفتوح على ثلاثة أبواب و منها باب السدرة و يعرف أيضا بباب العتيق لأنه قريبا من دار ابن عتيق، و منها باب العمرة و سمي بذلك لدخول و خروج المعتمرين من النعيم من هذا الباب و هو من أجامل أبواب الحرم، و منها باب العمرة و سمي بذلك لدخول و خروج المعتمرين من النعيم من هذا الباب و هو من أجامل أبواب الحرم و منها باب إبراهيم و قد اختلف الناس في نسبته و الصحيح أنه منسوب إلى إبراهيم الخوزي من الأعاجم كان يعمل أمام هذا الباب، و منها باب الحزورة و تمت تسميته بهذا الاسم نسبة لاسم إحدى أسواق الجاهلية التي كانت في هذا المكان و دخلت في مساحة الحرم المكي ،و له عدة أسماء أخرى حيث سمي بباب الوداع لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم و هو مفتوح على بابين، و منها باب أجياد الأكبر مفتوح على بابين .

أبواب المسجد الحرام هي الخطوة الأولى للدخول إلى المسجد ثم الانتقال إلى صحن الكعبة من أجل الطواف و أداء مناسك الحج و العمرة، و ذكر ابن بطوطة أن صوامعه خمس إحداهن على ركن أبي قبيس و الأخرى علة ركن بني شيبه و الثالثة على باب دار الندوة و الرابعة على ركن باب السدرة و الخامسة على ركن أجياد و من المشاهد الكريمة بمقربة من المسجد الحرام قبة الوحي وهي في دار خديجة رضي الله عنها بمقربة من باب النبي

صلي الله عليه و سلم و من عجائب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد المنيفة، و الشوق إلى المثول بمعاهدها الشريفة و جعل حبها متمكنا في القلوب شديد الحنين إليها فالمسجد الحرام هو " أمان لكل خائف، و أن من دخله كان آمنا على نفسه ففي القرآن الكريم " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ " ⁽¹⁾ { سورة العنكبوت ، الآية 67 }

ذكر الله أيضا ابن بطوطة الجبانة المباركة التي خارجها باب المعلى و يعرف أيضا بالحجون و بها دفن غفير من الصحابة و التابعين و الصالحين و الأولياء، إلا أن مشاهدهم ذهبت عن أهل مكة، فلا يعرف منها إلا القليل .

➤ ذكر الجبال المطيفة بمكة :

تضم مكة المكرمة مجموعة من الجبال و قد ذكرها ابن بطوطة في كتابه و تطرق إلى وصف كل واحد منهم وصفا دقيقا، فيقول " فمنها جبل أبي قبيس و هو في جهة الجنوب و الشرق من مكة حرسها الله، و هو أحد الأخشبين و أدنى الجبال من مكة شرفها الله و يقابل ركن الحجر الأسود و بأعلاه مسجد و أثر رباط و عمارة و كان الملك الظاهر رحمه الله أراد أن يعمره و هو مطل على الحرم الشريف و على جميع البلد و منه يظهر حسن مكة - شرفها الله- و جمال الحرم و اتساعه و الكعبة المعظمة و يذكر أن جبل أبي قبيس هو أول جبل خلقه الله و فيه استودع الحجر زمان الطوفان و كانت قريش تسميه الأمين لأنه أدى الحجر الذي استودع فيه إلى الخليل إبراهيم عليه السلام و يقال إن قبر آدم عليه السلام به، و في جبل أبي قبيس موضع موقف النبي صلي الله عليه و سلم حين أنشق له القمر، و منها قعيقعان و هو أحد الأخشبين و منها الجبل الأحمر و هو في جهة الشمال

¹ - أبي الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر، دار الكتب العلمية، المكتبة العصرية، ج 2، ط 01 ، 1986 ، ص 295 .

من مكة شرفها الله و منها الخدمة و هو جبل عند الشعبين المعروفين بأجياد الأكبر و أجياد الأسفر و منها جبل الطير و هو على أربعة عن جهتي طريق التنعيم، يقال إنها الجبال التي وضع عليها الخليل عليه السلام أجزاء الطير ثم دعاها حسبما نص الله في كتابه العزيز و عليها منها و هو مشرف على منى ذاهب في الهواء عالي القفة و كان رسول الله صلي الله عليه و سلم يتعبد فيه كثيرا قبل المبعث و فيه أتاه الحق من ربه و بدا الوحي و هو الذي اهتز تحت رسول الله صلي الله عليه و سلم تسليما فقال رسول الله صلي الله عليه و سلم " أثبت فما عليك إلا نبي و صديق و شهيدة.

و اختلف فيمن كان معه يومئذ و روي أن العشرة كانوا معه و قد روي أيضا أن جبل ثبير اهتز تحته أيضا و منها جبل ثور و هو على مقدار فرسخ من مكة شرفها الله تعالى على طريق اليمن و فيه الغار الذي أوى إليه رسول الله صلي الله عليه و سلم تسليما حين خروجه مهاجرا من مكة شرفها الله و معه الصديق رضي الله عنه حسب ماورد في الكتاب العزيز⁽¹⁾.

تطرق ابن بطوطة أولا إلى جبل أبي قبيس الذي يقع في جهة الجنوب و الشرق حن مكة المكرمة و هو أحد الأخشبين و منه يظهر حسن مكة لأنه مطل على الحرم الشريف مقابل الركن الحجر الأسود، فهو أول جبل خلقه الله تعالى و كانت قريش تسمية الأمين بسبب احتفاظه بأمر من الله بالحجر الأسود في بطن الجبل و يقال أن قبر آدم عليه السلام به و فيه موضع موقف النبي صلي الله عليه و سلم لأنه شاهد على حادثة شق القمر حيث كان النبي واقف أمام الجبل و سمي بذلك لأن رجلا يقال له أبو قبيس أول من قام بالبناء عليه، و منها جبل قعيقعان و هو أيضا أحد الأخشبين و يسمى اليوم بجبل قرن و سمي بجبل قعيقعان لتقعع السلاح به في الحروب و منها الجبل الأحمر وهو في جهة

¹ - محمد ابن عبد الله ابن بطوطة و ابن جزي الكلبي، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار،

الشمال من مكة، و منها جبل خندمة و هو جبل عند الشعبيين بأجياد الأكبر و هو في جهة الشمال من مكة، و منها جبل الخندمة و هو جبل عند الشعبيين بأجياد الأكبر و أجياد الأصغر، و منها جبل الطير و يقال أنها الجبال التي وضع عليها الخليل عليه السلام أجزاء الكبر في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ۖ لَمْ يَتَسَنَّه ۖ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۖ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ { سورة البقرة ، الآية 259 }

و منها جبل حراء و هو في جهة الشمال من مكة و فيه بدا الوحي في غار حراء الذي كان يختلي فيه رسول الله محمد صلي الله عليه و سلم قبل نزول القرآن عليه بواسطة جبريل عليه السلام و هو المكان الذي نزل فيه الوحي لأول مرة على النبي صلي الله عليه و سمي بجبل النور أو جبل الإسلام لنزول نور الدعوة الإسلامية فيه لأول مرة و هو عبارة عن فجوة في الجبل و كان الرسول صلي الله عليه يتعبد فيه قبل البعثة و منها جبل ثور و هو على طريق اليمن و فيه الغار الذي أوى إليه الرسول صلي الله عليه و سلم حين خروجه مهاجرا من مكة و معه الصديق رضي الله عنه فقال سبحانه و تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۚ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۚ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ { سورة التوبة ، الآية 40 }

و هو عبارة عن صخرة مخوفة له فتحتان فتحة من جهة الغرب و أخرى من جهة الشرق .

- العادات و التقاليد المصاحبة لبيت الله الحرام :

لأهل مكة عادات و تقاليد متنوعة لكل مناسبة خاصة في استهلال الشهور و يكون ذلك بقدوم أمير مكة في أول يوم من الشهر برفقة قواده الذين يحفون به من كل جهة

في زي معتم البياض حامل سيفاً و عليه السكينة و الوقار فيصلي عند الكريم ركعتين ثم يقبل الحجر و يشرع في طواف أسبوع، و عند يقصد لتقبيل الحجر يندفع رئيس المؤذنين بالدعاء له و التهيئة بدخول الشهر، حيث يقول ابن بطوطة في هذا " و عاداتهم في ذلك أن يأتي أمير مكة و عليه السكينة و الوقار، فيصلي عند المقام الكريم ركعتين، ثم يقبل الحجر و يشرع في طواف أسبوع، و رئيس المؤذنين على أعلى قبة زمزم، فعندما بكل الأمير شوطاً واحداً و يقصد الحجر لتقبيله يندفع رئيس المؤذنين بالدعاء له و التهيئة بدخول الشهر، رافعا بذلك صوته، ثم يذكر في مدحه و مدح سلف الكريم، و بفعل به هكذا في السبعة أشواط، فإذا فرغ منها ركع عند الملتزم ركعتين ثم ركع خلف المقام أيضاً ركعتين ثم انصرف " (1)

و بمجرد ثبات رؤية هلال رجب يأمر أمير مكة بضرب الطبول و الأبواب إيذاناً بدخول الشهر و توجهه و ركبه للطواف بالبيت الحرام، كما احتفل أهل مكة بعمرة رجب احتفالاً مهيجاً، و ذكر أنه شاهد شوارع مكة المكرمة ليلة السابع و العشرين من رجب و قد غصت بالهوادج و جمال المعتمرين و هي تخرج إلى التنعيم و أمامها الشموع و المشاعل و في هذا يقول ابن بطوطة " و إذا هل هلال رجب أمر أمير مكة بضرب الطبول و البوقات إشعاراً بدخول الشهر ثم يخرج في أول يوم منه ركبا و معه أهل مكة فرساناً و رجالاً على ترتيب عجيب " و أهل مكة يختلفون لعمرة رجب الاحتفال الذي لا يعهد وهي متصلة ليلاً و نهاراً و أوقات الشهر كلها معمورة بالعبادة ... شاهدتهم في ليلة السابع و العشرين منه و شوارع مكة قد غصت بالهوارج عليها لمساء الحرير و الكتان الرفيع كل أحد يفعل بقدر استطاعته و الجمال مزينة مقلدة بقلائد الحرير " (2)

¹ - المرجع السابق ، ص 115

² - نفس المرجع السابق ، ص 115، 116

فشهر رجب هو بداية الأشهر الحرم، حث فيه الإسلام على مضاعفة العمل و العبادات لما فيه من الغير الكثير قال تعالى " إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهدا في كتاب الله يوم خلق السماوات و الأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم " {سورة البقرة، الآية 36 }

تعد ليلة النصف من شعبان في مكة المكرمة ليلة مباركة عند أهالي مكة، حيث يبادرون فيها إلى الطواف و الصلاة جماعات في المسجد الحرام بعد إيقاد السرج و المصابيح فضلا عن ضوء القمر، و يقومون بأداء مائة ركعة و بعضهم يطوفون بالبيت الحرام و البعض الآخر خرج من أجل أداء العمرة، يقول ابن بطوطة " و في هذه الليلة من الليالي المعظمة عند أهل مكة يبادرون فيها إلى أعمال البر من الطواف و الصلاة جماعات و أقذاذا و الاعتمار، و يجتمعون في المسجد الحرام جماعات لكل جماعة إمام و يوقدون السرج و المصابيح و المشاعل و يقابل ذلك ضوء القمر يتلأل الأرض و السماء نورا و يصلون مائة ركعة يقرؤون في كل ركعة بأم القرآن و سورة الإخلاص يكررونها عشرا، و بعض الناس يصلون في الفجر منفردين و بعضهم يطوفون بالبيت الشريف و بعضهم قد خرجوا للاعتمار " (1)

شهر شعبان له فضل كبير عند الله تعالى ففيه ترفع الأعمال إليه ومع قدومه الأرواح عطشى إكتساب الثواب و الحسنات في مثل هذه الأيام المباركة و ذلك لأن فضائل شهر شعبان تشعرنا بروحنيات شهر الصيام، و من أعظم فضائله تأهيل النفس لشهر رمضان من خلال الصيام و الدعاء و التضرع و ما إلى ذلك من الأعمال الصالحة قال رسول الله صلي الله عليه و سلم : " ذلك شهر يغفل الناس عنه بيت رجب و رمضان و هو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين "

¹ - المرجع السابق ، ص 117، 118

تتجمل مكة المكرمة في شهر رمضان المبارك عند بقية الشهور و ذلك لأهميته و تفضيل الله له على سائر شهور العام و عند حلول الشهر المبارك يأمر أمير مكة بقرع الطبول و الدبادب (آلات خشبية عالية الصوت) و إقامة احتفال بالمسجد الحرام الذي تم تحديد الحصر به و زيادة الشمع و المشاعل، كما لاحظ إقامة الصلاة وراء أئمة المذاهب المختلفة حيث يقول ابن بطوطة : " و إذا هل هلال رمضان تضرب الطبول و الدبادب عند أمير مكة و يقع الاحتفال بالمسجد الحرام من تحديد الحصر و تكثير الشمع و المشاعل حتى يتلألأ الحرم نورا و يسطع بهجة و إشراقا ... لا تبقى في الحرم زاوية و لا ناحية إلا و فيها قارئ يصلي بجماعته فيرتج المسجد لأصوات القراء و ترقى النفوس و تحضر القلوب و تحمل الأعين ... و إذا كان وقت السحور يتولى المؤذن الزمزمي التسحير في الصومعة التي بالركن الشرقي من الحرم ، فيقوم داعيا و مذكرا و معرضا على السحور ... و قد نصبت في أعلى كل صومعة خشبة على رأسها عود معترض قد علق فيه قنديلان من الزجاج كبيران يقدان ... ولديار مكة شرفها الله - سطوح ، فمن بعدت داره بحيث لا يسمع الأذان يبصر الفيلين المذكورين فيتسحر حتى إذا لم يبصرهما ألقع على الأكل و في كل ليلة و ترمن ليالي العشر الأواخر من رمضان يختمون القرآن ... و يكون الذي يختم بهم أحد أبناء كبار أهل مكة، فإذا أختتم نصب له منبر مزين بالحرير و أوقد الشمع و خطب فإذا فزع من خطبته استدعى أبوه الناس إلى منزله فأطعمهم الأطعمة الكثيرة و الحلوات و كذلك يصنعون في جميع ليالي الوتر و أعظم تلك الليالي عندهم ليلة سبع و عشرين و احتفالهم لها أعظم من احتفالهم لسائر الليالي و يختم بها الفرن العظيم خلف المقام الكبير "

(1)

¹ - نفس المرجع السابق ، ص 118

و من عاداتهم أيضا عند حلول وقت السحور في رمضان أن يقوم المؤذن الزمزمي في الصومعة الموجودة في الركن الشرقي من الحرم الشريف بالدعاء و الذكر و التحريض، و في أعلى كل صومعة خشبية في مكة تم نصب خشبة كبيرة بحيث يعلق فيها قنديلان من الزجاج طوال الوقت السحور، أما سكان مكة الذين لا يصل الأذان إليهم نتيجة ابتعاد بيوتهم فإنهم ينتظرون من أعلى سطوح منازلهم فإذا شاهدوا القنديلين مضاءين فإنهم يقومون بالتسحر و إذا رأوها مطفأين يقلعون عن الطعام و يذكر أن أهالي مكة يحتفلون بالعرش الأواخر من رمضان فيقوم في كل ليلة أحد أبناء كبار مكة يختم القرآن الكريم أمام القاضي و كبار الفقهاء و بعد الانتهاء من ذلك يقام له منبر مزين بالحرير ليخطب للناس من فوقه و بعد الانتهاء من الخطبة يقوم والده بدعوة الحاضرين إلى وليمة بمنزله و يشعر ابن بطوطة بشكل خاص إلى أن ليلة السابع و العشرين هي أعظم من احتفالهم بسائر الليالي بحيث يتم أيضا ختم القرآن و تكثر فيها قراءة القرآن الكريم فضلا عن زيادة كبيرة في الشموع و القناديل، قال الله تعالى :

" شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَ الْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لَتَسُرِّوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " {سورة البقرة، الآية 184 }

فشهر رمضان شهر عظيم ترفع فيه الأعمال إلى الله تعالى، و يحرص فيه المسلم على الإكثار من العبادات و حسن الأعمال، كما يحرص أهالي مكة في ليلة دخول الشهر الكريم على تنظيف المنازل و تزيينها و عمل بعض المأكولات الرمضانية مثل الكنافة.

و عاداتهم في شهر شوال أن يوقدوا المشاعل و المصاييح و الشمع كما يفعلون في ليلة السابع و العشرين من شهر رمضان و يقول في ذلك ابن بطوطة " و عاداتهم في شوال و هو مفتتح أشهر الحج المعلومات أن يوقدوا المشاعل ليلة استهلالية و يسرجون المصاييح

و الشمع على نحو فعلهم في ليلة سبع و عشرين من رمضان ، و توقد السرج في الصوامع من جميع جهاتها، و يوقد سطح الحرم كله، و سطح المسجد الذي بأعلى أبي قبيس و يقيم المؤذنون ليلتهم تلك في تهليل و تكبير و تسبيح و الناس ما بين طواف و صلاة و ذكر و دعاء ، فإذا صلوا الصبح أخذوا في أهبة العبد و ليسوا أحسن ثيابهم و بادروا بأخذ مجالسهم بالحرم الشريف به يصلون صلاة العيد " (1)

يستعد المكيين لاستقبال عيد الفطر المبارك فيقدمون بإيقاء الشمع و المشاعل و المصابيح بحيث يضاء سطح الحرم كله و يقضي المؤذنون هذه الليلة في تهليل و تكبير و تسبيح بينما يأخذ الموجودون في الصلاة و الذكر و الدعاء و بعدها يفرغ أهالي مكة من أداء صلاة الصبح يلبسون أحسن ما لديهم من ثياب و يتوجهون لأداء صلاة العيد بالحرم الشريف و بعدها يقبل الناس على السلام و المصافحة و يتوجهون لدخول الكعبة المشرفة و بعد ذلك يخرجون إلى مقبرة باب المعلى لزيارة قبور الصحابة و السلف الصالح .

صيام ستة أيام من شهر شوال هو سنة ثابتة و مستحبة عن النبي صلي الله عليه و سلم في قوله : " من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر " و هو دليل على شكر الصائم لربه لتوفيقه في صيام رمضان .

مكث ابن بطوطة في مكة بعد ذلك حتى موعده حجته الأولى فيذكر أنه تم رفع أستار الكعبة أو إحرام الكعبة يوم السابع و العشرين من ذي القعدة صونا لها من الشد و الجذب الذي يمكن أن تتعرض له من قبل الحجاج و لهفتهم عليها في قوله : " و في اليوم السابع و العشرين من شهر ذي القعدة، شهر أستار الكعبة الشريفة زادها الله تعظيما إلى نحو ارتفاع قامة و نصف من جهاتها الأرض صوتا لما من الأيدي أن تنتهيها، و يسمون

¹ - محمد ابن عبد ابن بطوطة، و ابن جزي الكلبي، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظر في غرائب الأمطار و عجائب الأسفار ، مؤسسة هنداوي، 2020، ص 119

ذلك إحرام ذلك الكعبة، وهو يوم مشهود بالحرم الشريف و لا تفتح الكعبة المقدمة من ذلك اليوم حتى تنقضي الوقفة لعرفة " (1)

تسمى هذه العادات بإحرام الكعبة الذي يوم كبير بالحرم الشريف بحيث لا تفتح الكعبة المعظمة في اليوم حتى تنتهي الوقفة بعرفة و ذو القعدة هو الشهر الحادي عشر من السنة الهجرية.

كما ذكر أنه بمجرد حلول أول أيام ذي الحجة يتم قرع الطبول في أوقات الصلاة حتى يوم الصعود إلى عرفات و في اليوم السابع من الشهر يلغي الإمام خطبة المسجد الحرام بعد الانتهاء من صلاة الظهر لكي يعلم الناس فيها عن كيفية أداء مناسك الحج و يسعد الذين حضروا الأداء الفريضة إلى منى في اليوم الثامن برفقة أمراء مصر و الشام و العراق و في اليوم التاسع من ذي الحجة رحل الجميع إلى منى بعد صلاة الصبح إلى عرفة ،حيث يقول " و إذا كان في أول يوم شهر ذي الحجة تضرب الطبول و الدبادب في أوقات الصلوات بكرة و عشية إشعار بالموسم المبارك، و لا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات فإذا كان اليوم السابع من ذي الحجة خطب الخطيب إثر صلاة الظهر خطبة بليغة يعلم الناس فيها مناسكهم و يعلمهم بيوم الوقفة، فإذا كان اليوم الثامن بكر الناس بالصعود إلى منى و أمراء مصر و الشام و العراق و أهل العلم يبيتون تلك الليلة بمنى، و تقع المباهاة و المفاخرة بين أهل مصر و الشام و العراق في إيقاد الشمع و لكن الفضل في ذلك لأهل الشام دائماً، فإذا كان اليوم التاسع رحلوا من منى بعد صلاة الصبح إلى عرفة " (2)

يؤمن المسلمون بأن هذه الأشهر مباركة فيكثرون فيها من العبادة و الأعمال الصالحة و الذكر، و توافق هذه الأيام موسم الحج عند المسلمين.

1- المرجع السابق، ص 119

2- نفس المرجع السابق، ص 120

تصل كسوة الكعبة المشرفة من مصر فيقوموا بتغطية الكعبة بها يوم النحر فتوصف بأنها من الحرير حالكة السواد، مكتوب عليها العديد من الآيات القرآنية " جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس " { سورة المائدة ، الآية 97 }

كما أن الملك الناصر هو الذي يتولى أمر كسوة الكعبة فضلاً عن تكفله بمعاش القاضي و الخطيب و الأئمة و المؤذنين و الفراشين و ما يحتاج إليه الحرم الشريف من الشمع و الزيت كل سنة يقول ابن بطوطة " و في يوم النحر يبعث كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصري إلى البيت الكريم فوضعت في سطحه فلما كان اليوم الثالث بعد يوم النحر أخذ الشيبون في إسبائها على الكعبة الشريفة ،وهي كسوة سوداء حالكة من الحرم مبطنة بالكتان و في أعلاها طراز مكتوب بالبياض " جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالتَّهْدِي وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " { سورة المائدة ' الآية 97 }

و في سائر جهاتها طراز مكتوب بالبياض فيها آيات من القرآن و عليها نور لائج مشرف من سوادها و كما ليست شمرت أذياها صونا من أيدي الناس و الملك الناصر هو الذي يتولى كسوة الكعبة الكريمة و يبعث مرتبات القاضي و الخطيب و الأئمة و المؤذنين و الفراشين و القومة و ما يحتاج له الحرم الشريف من الشمع و الزيت في كل سنة و في هذه الأيام تفتح الكعبة الشريفة في كل يوم للعراقيين و الخراسانيين و سواهم ممن يصل مع الركب العراقي، و هم يقيمون بمكة بعد سفر الركبين الشامي و المصري أربعة أيام، فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين و غيرهم ، و لقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلا، فمن لقوة في الحرم من المجاورين أو المكين أعطوه الفضة و الثياب " (1)

تفتح الكعبة الشريفة في هذه الأيام المباركة لكل من يصل إلى الحرم الشريف فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين و غيرهم كإعطاء الفضة و الذهب و الثياب لكل من يجدوه أمامهم إضافة إلى طوافهم بالحرم ليلاً.

و نلاحظ أن ابن جبير " ذكر أن كسوة الكعبة تنتقل بتنقل أمير الحج أي أنها تكون في مخيمة بعرفات، ثم تنتقل معه إلى منى، و في يوم النحر تحمل إلى مكة حيث يقول في ذلك " و في يوم السبت يوم النحر المذكور، سيقّت كسوة الكعبة المقدسة من حلة الأمير العراقي إلى مكة على أربعة جمال تقدمها القاضي الجديد بكسوة الخليفة السوادية، و الرايات على رأسه، و الطبول تمر وراءه ... فوضعت الكسوة في السطح المكرم أعلى الكعبة، فلما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المبارك المذكور أشعل الشيبون بإسبائها خضراء يانعة تقيّد الأبصار حسناً، في أعلاها رسم أحمر واسع مكتوب في الصقح الموجه المقام الكريم حيث الباب المكرم، و هو وجهها المبارك بعد البسملة، و في سائر الصفحات اسم الخليفة و الدعاء له، و تحف بالرسم المذكور طرتان حمروان بدوائر صغار بيض فيها رسم بخط رقيق يتضمن آيات من القرآن الكريم و ذكر الخليفة أيضاً فكلمت كسوتها و شمرت أذيالها الكريمة صونا لها من أيدي الأعاجم و قوة تهافتها عليها و انكبادها فلاح للناظرين منها أجمل منظر، كأنها عروس جليت في السندس الأخضر أمتع الله بالنظر إليها كل مشتاق لقائها حريص على المثل بشنائها بمنه " (1)

وصفها "ابن جبير" بأنها خضراء يانعة في أعلاها رسم أحمر واسع و تحف بالرسم الذي يتضمن آيات القرآن الكريم و اسم الخليفة و الدعاء له فيلوح للناظرين منها أجمل المناظر كأنها عروس متربعة في الحرم المكي أمتع الله بالنظر إليها كل مشتاق .

1- أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن إتفاقات الأسفار، دار صادر مكتبة الهلال، بيروت ، ص 59

- الأسواق التي شهدها مكة المكرمة:

لعبت الأسواق المكية المكرمة إبان الجاهلية و الإسلام الدور الرئيسي في تشكيل حضارة مكة، و لها خصوصية تجعلها منفردة عن سائر أسواق العرب في كونها مرتبطة بميقات الحج الزماني بالرغم من أنها جزء من الأسواق العربية في شبه الجزيرة و أهم هذه الأسواق ثلاث : " سوق عكاظ، سوق مجنة ، سوق ذو المجاز " و يذكر أن لهذه الأسواق تقسيما آخر تبعاً لمن يخضع له و ييسط عليها نفوذه وهي كالاتي :

- أ) أسواق خاضعة لنفوذ أجنبي :

تدار بنظم خاصة و تتضاءل فيها الصبغة العربية كما نرى في "الحيرة" و "هجر" و "البحرين" و "عمان" و غيرها من المواطن التي تدين عليها السيطرة الفارسية، وكما نرى في "بصري" و "أذرعان" و "غزة" و "أيلة" و غيرها مما يدار بالإدارة الرومانية و الذي ينظر هذه الأسواق عرب يعينهم ولاية الفرس وولاية الرومان (1)

- ب) أسواق أنشأها العرب أنفسهم :

بحكم الحاجة فصارت مع الزمن تمثلهم أصدق تمثيل في عاداتهم في البيع و الشراء و الخصام و الدين و الزواج و الحقوق و لا يشرف عليها إلا سراة أهلها، و هي مرآة العرب في الجاهلية و بها نستطيع أن نعرف كل ما كان عليه العرب تقريبا في معاملتهم و علائقهم بعضهم ببعض (2)

1- محمد عبد الحليم خليفة، الأسواق العامة، حول مكة المكرمة و دورها في تشكيل الملامح الأدبية لمكة المكرمة، بحث مقدم إلى

ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426 هـ، ص 13

2- نفس المرجع، ص 13، 14

- ج (أسواق ذات صبغة مختلطة:

نظرا لموقعها الجغرافي و هي التي تكون على البحر " كعدن " و "صحار " و "ديبي " و في هذه يجتمع تجار الحبشة و الهند و الصين و فارس و يضؤل فيها الطابع القومي بمقدار ما يقوي شأنها التجاري ⁽¹⁾

شهدت مكة في جاهليتها و حتى بعد ظهور الإسلام ثلاث أسواق كبرى كما سبق ذكرها و لولا قدسية بيت الله و حج الناس لمكة ما كانت هذه الأسواق لتوجد في الأصل و هي كالآتي :

➤ سوق عكاظ :

قال عنه الزمخشري عكاظ (تسوق العرب كانوا يجتمعون فيه فيتنافسون و يتفاخرون ... و منه قالوا تعاكضوا في مكان كذا إذا اجتمعوا أو تراحموا) و سمي بذلك لأن العرب تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضا بالفخار و الخصام و الحجج، و قد أكد الأفغاني إلى أن شأنها تعود إلى ما قبل 500 م و قد وصفها الإدريسي بأنها عبارة عن قرية لها من المزارع و النخيل و المياه الكثير .

و يقع سوق عكاظ عند نقطة التقاء دائرة عرض $21^{\circ} 28' 24''$ شمالا و خط طول $40^{\circ} 32' 8''$ شرقا، و هي تتبع حاليا لمحافظة الطائف ... و حدوده من الجنوب الغربي الإثيداء، و من الجنوب الشرقي العبلاء، و من الشمال الشرقي الخريزة، و من الغرب وادي الأخيضر ، تبلغ مساحته 5728 . 10 كلم² ، و ترجح موقعه في شمال شرق الطائف بـ 45 كلم و من أهم السلع و البضائع التي تباع في سوق عكاظ سابقا: الأدم العكاظي الذي اشتهر به في الجزيرة العربية ... و لا تخلو عكاظ من فواكه الطائف و خاصة العنب و الرمان و الزبيب و النبيذ، كما تباع الحيوانات من الجمال و الخيل ...

1- نفس المرجع ، ص 14

كما راجت فيه تجارة الأطعمة و الملابس و الشراب، و من أهمها الشعير و القمح و الأرز، كما يباع التمر بأنواعه و الأسلحة من مختلف البلدان، كما تباع العطور مثل المسك و الكافور، كما اتسعت مبيعات الأصباغ كالحنه و الكتف و الوسمة " (1) أشهر سوق عكاظ بالكثير من المبيعات من حيوانات و تجارة الأطعمة و الملابس والعطور و الفواكه و هو يتركز بموقع جغرافي ممتاز بين مكة و الطائف و لم يقتصر نشاطه فقط على النشاط التجاري بل ذهب نشاطه إلى الأنشطة الثقافية بين الشعر و النثر إضافة إلى النشاطات الدينية .

- سوق صجنته:

" و مجنة إسم مشتق من الجنة التي هي البستان ، نسبة لعذوبة مياهها و غزارتها نسبيا ، و قد وصفه ابن الأثير في لسان العرب : بأنه موضع في مكة على بعد أميال ، و كان يقام بها العرب و هي لكانة و لهم فيها أبار و ماء ، و يمتد حيزها المكاني في أسفل مكة في نقطة إلتقاء وادي فاطمة بالجموم و يمتد حيزها المكاني في أسفل مكة في نقطة إلتقاء وادي فاطمة بالجموم و يمر بجوارها وادي مر الظهران و قد كانت نهايتها متزامنة لسوق عكاظ ... و يعرض السوق العديد من النقوش الأثرية و المناظر الطبيعية و البيئية يرجع تاريخها إلى مئات السنين إلى جانب العديد من الأنشطة القديمة والحديثة

2"

سمي سوق مجنة بهذا الاسم نسبة لعذوبة و غزارة مياه البساتين لأن إسمه مشتق من البستان ، و إشتهر هذا السوق بعرض العديد من النقوش الأثرية و المناظر الطبيعية

¹ - أشواق بنت حمزة منى الدين مليباري، دراسة مقدمة إلى قسم الجغافيا كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في الجغرافيا، الأسواق في مدينة مكة المكرمة، دراسة في النشأة و التطور و التوزيع ، جامعة أم القرى ، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الجغرافيا

، 1430 هـ ، ص 39 ، 40

² المرجع السابق ص 40 - 41

الخلاصة و ينله إهتمام كبير من قبل الحكومة السعودية بإقامة مهرجان الربيع الذي يستمر لمدة عشرة أيام ، و يكون ميقات إنعقاده في العشر الأواخر من ذي القعدة .

- سوق ذي المجاز :

- " و إشتق إسمه من إجازة الحجيج التي تكون منها إلى عرفات و هي مسافة 3 أميال من عرفات ، إذ تقام فيه مختلف الأنشطة التي تقام بعكاظ و لكن ليس بذات السعة نفسها و يعد ثاني أكبر أسواق العرب قبل الإسلام بعد سوق عكاظ في الأهمية ، أما عن حيزها المكاني فقد أشار إليه الواقدي بأنه في موضع خلف عرفات ، و قد حددت حديثا في شمال شرق حي الراشدية .

أما الإطار الزمني لذي المجاز فيمتد من اليوم الأول من ذي الحجة و يقيمون به حتى يوم التروية و هي آخر أسواق التجار و الحجاج ، فخلال هذه الأيام السبع يكونون قد باعوا كل ما جاءوا به للتجارة حيث يتوقف تبادل المنافع في أيام الحج بل هي أيام عبادة بحتة ، حتى جاء الإسلام منعشا لها بالحث على تبادل المنافع حتى في أيام العبادة قال تعالى " ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فإذكروا الله عند المشعر الحرام و إذكروه كما هداكم و إن كنتم من قبله لمن الضالين " البقرة 198

إشتهر سوق ذي المجاز بمختلف الأنشطة من بيع الحيوانات و تجارة الأطعمة و الملابس ، و بيع العطور و الأسلحة من مختلف البلدان ، و يعد ثاني أكبر أسواق العرب يقع خلف عرفات و هو آخر أسواق التجار و الحجاج ، ينعقد عندما يهل هلال ذي الحجة إذ ينصرف الحجاج و لا يزالون محرمين من مجنة إلى ذي المجاز حتى اليوم الثامن منه و هو يوم التروية .

كانت لهذه الأسواق مكانه خاصة في نفوس زوارها الذين جاءوها من كل البلدان
و إرتباط هذه الأسواق بموسم الحج يوضح لنا مدى ما كان لها من منزلة راقية و مقدسة
و من هنا إكتسبت هذه الأسواق مكانتها .



خاتمة :

بعد أن قمنا بالبحث في تجليات " المكان المقدس في الأدب الشعبي -مكة أنموذجا

" توصلنا إلى جملة من النتائج نبينها كما يلي :

- أهمية مكة المكرمة كرمز ديني و ثقافي سعى في المخيلة الإسلامية العربية .
- رمزية المكان جغرافيا و تاريخيا و ثقافيا .
- علاقة مكة بفكرة القداسة و الطهارة وهي علاقة لها امتداد تاريخي أنثروبولوجي مع أبو البشرية سيدنا آدم عليه السلام وصولا إلى خاتم الأنبياء محمد صلي الله عليه و سلم .

- ارتبطت مكة بفكرة الرحلة و أهمها رحلة الحج و ما تبعها من قصص و حكايات
- بيتها {رحلة الحج لابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب

الأسفار {

- رسمت صورة العادات و التقاليد المرافقة لفعل الحج .
- تحلت صورة الطقوس المصاحبة للشعائر .
- رسمت رحلة ابن بطوطة ملامح العمران الشعبي .
- كشفت رحلة "ابن بطوطة " ملامح و أخلاق و طبائع الحجيج .

- رصدت لنا جمالية الأماكن القريبة من مكة المكرمة و التي اكتست طابع القداسة
- لقربها منها مثل الجبال { جبل أبي قبيس، جبل قعيقعان، جبل خندمة، الجبل

{ الأحمر }

- تنوعت مسميات مكة المكرمة غير أنها اشتهرت باسم مكة .
- صورت لنا ملامح التجارة في المجتمع المكي و ما يتبعه من عادات و تقاليد .
- تعد أسواق مكة المكرمة أكثر الأسواق شهرة و قيمة لأنها مكانا تجتمع فيه جميع الأجناس
- والحضارات و الثقافات التي تتلاقح مع بعضها البعض تتفاعل ماديا و ثقافيا و قد ذكرها
- المولى سبحانه و تعالى في القرآن الكريم بكون مكة مكان تجاري (رحلة الشتاء و الصيف)

الحمد لله أولا و أخيرا



قائمة المصادر و المراجع :

القرآن الكريم :رواية ورش عن نافع ،دار الريادة ،دمشق ،سوريا ، ط 1
، 2015 .

-أولا:المصادر :

1. محمد ابن بطوطة ،رحلة ابن بطوطة ،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب
الأسفار.

- ثانيا :المراجع العربية:

2. أنطوان نعمة و آخرون ،المنجد في اللغة العربية المعاصرة (مادة، مكن)،دار المشرق
، بيروت، لبنان ، ط 01 ، 2000 .

3. باديس فوغالي ،الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ،إربد عالم الكتب الحديث
،عمان ،الأردن ، ط 01 ، 2008 .

4. باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي،

5. حميد الحمداي، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي،
المغرب،

6. الخليل بن أحمد الفراهيدي :كتاب العين ،ت:عبد الحميد هنداوي،دار الكتب
العلمية، ط 1 ، 2003، ج 04 .

7. الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني :تاج العروس من جواهر القاموس ،تح
عبد المنعم خليل إبراهيم و الأستاذ سيد محمد محمود ،دار الكتب العلمية
،بيروت، ط 1 ، 2007، ج 20.
8. سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) الهيئة العامة للكتاب،
مصر، 1984
9. عبد الحميد بوريو: منطلق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان
المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994
10. عبد الحميد خطاب، إشكالية المكان و الزمان في الفكر الإسلامي، مجلة
المبرز، المدرسة العليا للأساتذة ، قسنطينة، ع 1، ص 72، نقلا عن باديس فوغالي،
الزمان و المكان في الشعر الجاهلي،
11. عبد المالك مرتاض ،في نظرية الرواية ،عالم المعرفة .
12. غالب هالسا، المكان في الرواية العربية، دراسات هاني، دمشق، ط 01
، 1989.
13. فاروق أحمد سليم ،الانتماء في الشعر الجاهلي ،منشورات إتحاد الكتاب
العرب، دمشق ،سوريا ، 1998 . .
14. قادة عقاق، جماليات المكان في الشعر العربي المعاصر + جدل المكان و
الزمان ،دار الغرب و النشر و التوزيع، وهران، ط 2002.

15. محمود محمد حمو ، مكة المكرمة تاريخ و معالم ،متابعة ، د .أحمد محمد

شعبان ،تصميم خالد عبد الفتاح ،نوشاد علي كلتل ، ط 05 ، 1432 هـ

16. محمود محمد حمو ، مكة المكرمة ،تاريخ و معالم ،متابعة : د .أحمد محمد

شعبان ،تصميم خالد عبد الفتاح ،نوشاد علي كلفل ، ط 05 ، 1432 هـ .

17. ميد لحميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافى

العربى، بيروت ،لبنان، ط 03 ، 2000،

18. وجيد و فريد ،زين الأعمال و خلاصة الأفعال فى تاريخ مكة و المدينة

الشريفة ،عصره الإمام الحافظ أبى الوليد أحمد بن محمد بن الوليد الغساني الأزرقى

19. وجيد و فريد ،زين الأعمال و خلاصة الأفعال فى تاريخ مكة و المدينة

الشريفة،عصره الإمام الحافظ أبى الوليد أحمد بن محمد بن الوليد الغساني الأزرقى

20. ينظر ،باديس فوغالى ،الزمان و المكان فى الشعر الجاهلى .

21. ينظر ،فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان قراءة فى مكانية النص الشعري،

الإنتشار العربى، بيروت ، ط 01 ، 2008،

-المراجع المترجمة :

22. يوسف شلحد ،بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام و بعده



الصفحة	الموضوع
	يسم الله
	شكر و عرفان
	إهداء
أ.ب	مقدمة
المدخل	
05	- الموقع :
06	- المناخ :
09	- - التأسيس و التطور :
12	- أسامي البلدة الشريفة :
16	- ما كانت الكعبة عليه فوق الماء قبل يخلق الله عز وجل السموات و الأرض
16	- بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة :
الفصل النظري : تحديد المفاهيم و المصطلحات	
20	-تعريف المكان :
20	- (أ) لغة :
21	- (ب) اصطلاحا :
22	- خصائصه :
23	- تقسيم المكان عند النقاد :
24	- (ب) عند النقاد العرب :

25	- أنواعه
الفصل التطبيقي : تجليات المكان المقدس في الأدب الشعبي	
29	صورة الحاج (قبيل دخول بيت الله الحرام) :
29	الصورة الخارجية :
29	1-عالم اللباس :
30	استعدادات الحج :
30	أ-الاستعداد الروحي و النفسي :
30	إخلاص العمل لله تعالى :
30	-المبادرة إلى التوبة النصوح :
31	الوصية بتقوى الله في السر و العلن :
32	تحضيرات الطعام (الولائم) :
34	الحاج و عشق الكعبة :
36	صورة حب و شوق الحاج أثناء الرحيل إلى الكعبة :
38	- صورة الحج إلى مكة في الجزائر قبل الفرنسيين :
38	- السيرة التاريخية :
41	- مناسك الحج :
41	- أ) الإحرام :
45	- سنة الوقوف في يوم عرفة :
47	- التحلل من الإحرام :

50	- حكم من أخل بترتيب مناسك الحج :
51	- رحلة الحج لابن بطوطة :
51	- الفضاءات المكانية عند " ابن بطوطة " :
52	- رحلة الحج لابن بطوطة :
52	- الفضاءات المكانية عند " ابن بطوطة " :
53	- رحلة الحج لابن بطوطة :
53	- الفضاءات المكانية عند " ابن بطوطة " :
57	- المجتمع المكي في رحلة ابن بطوطة :
57	- ذكر أهل مكة و فضائلهم:
71	- العادات و التقاليد المصاحبة لبيت الله الحرام :
80	- الأسواق التي شهدها مكة المكرمة:
81	- (ج) أسواق ذات صبغة مختلطة:
88	خاتمة
91	قائمة المصادر و المراجع :
95	فهرس الموضوعات